الدكتور شاكر الفحّام
صورة وذكرى

بقلم: د. محمد حمويه



في السنة الدراسية ١٩٦٣-١٩٦٤ كنا في السنة الرابعة في قسم اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة دمشق التي كانت تسمى" الجامعة السورية " لأنه لم تكن في قطرنا العربي السوري جامعة سواها ، كانت بداية العام الدراسي جادة ، وبدأ الأساتذة يتتالون على إلقاء المحاضرات . منهم من عرفناه في السنوات الدراسية السابقة كالدكتور شكري فيصل رحمه الله ومنهم من جاءنا أول مرة كالدكتور عبد الكريم الأشتر ، مدّ الله في عمره ، يدرس مادة الأدب الحديث

وبقيت مادة الأندلسي ، ليس لها من يدرسها ، وكانت تدرس في السنة الرابعة وقتئذ ، ولكن لم تمض أيام حتى أعلن عن مكان هذه المادة وزمانها وأستاذها . وكان الطلاب على عادتهم قد أخذوا أماكنهم في القاعة المحددة ينتظرون قدوم المدرس الجديد. ولا أزال أذكر بعد مرور هذه السنوات ، دخول الدكتور شاكر الفحام في بزة أقرب ما تكون إلى الأناقة القاعة وافتتاحه محاضراته عن الأدب الأندلسي .

وكان الطلاب - وما يزالون - يتفاوتون

في الفضول في استطلاع أحوال الأساتذة الجدد وسرعان ما شاع بين الطلبة آنذاك أن الدكتور شاكر الفحام ، ليس ذلك الموفد العادي الذي عاد من الإيفاد من مصر يحمل شهادة الدكتوراة في بحث أنفق فيه كذا سنة ليحمل لقب "دكتور" ليحتل مقعده بجوار هذا وذاك ، لكي يتاح له أن يؤلف كتبا هزيلة لا تقدم في العلم شيئا ولا تؤخر بل هو أحد القلائل الذين عايشوا الأدب العربي بحثا وتنقيبا • وكان ، أيضا ، من أولئك القلائل الذين كانت لهم مكانة خاصة عند العلامة المحقق الأستاذ محمود شاكر الذي يعرف فضله وعلمه من يحبون الأدب العربي • وانه ما كان يقرب منه إلا من يرى فيه العلم والفهم والخلق السامي ولشد ما انتابنا الأسف عندما علمنا أن رسالة الدكتوراه لأستاذنا كانت عن " الفرزدق " وانه لم يكن من نصيبنا أن ندرس هذا الشاعر ، وشعره على يديه ، ففاتنا بذلك مالا يمكن تعويضه، إذ كان بعضنا آنذاك يدرس في قسم اللغة العربية حبا في العلم نفسه إرواء لظمأ وتعطش للمعرفة لا لشيء آخر •

ثم شاءت الأقدار أن ألتقي بأستاذنا الدكتور شاكر الفحام ، بعد فراق سنوات ، وكان قد انصرف إلى العمل في مجمع اللغة العربية بدمشق ، بعد تحمله أعباء وزارة التعليم العالي سنوات، وكان ذلك اللقاء في مجمع اللغة العربية فرايت من دماثته ولطفه ما أكمل الصورة التي رسمتها له في نفسي • فقد عرف عن أستاذنا وفاؤه المطلق لأصدقائه ، وتواضعه على الرغم من تسلمه أعلى المناصب • وبعده عن الشهرة الكاذبة التي يصطنعها بعض الناس وهم لا يملكون واحدا من الألف مما له من المزايا العلمية • وحسبك أن تعرف أنه لم ينشر شيئا من رسائله إلا بعد مرور سنوات طويلة • وقد اكتفى من رسالته الماجستير عن بشار بإصدار ما يتعلق بتصحيفات الديوان التي تهم كل قارىء لهذا الشاعر أو كل محب للأدب العربي • دون ضجة أو جلجلة يحسنها أولئك الذين لا يحسنون قراءة بيتين اثنين من الشعر القديم إذا لم يضبطا لهم ضبطاً كاملا • فرايت الجانب الآخر ، جانب الإنسان ، في شخص أستاذنا الكبير ، وخطرت في بالي الحكمة الفارسية التي تقول : ليس من الصعب أن تصبح عالماً ، ولكن من الصعوبة بمكان أن تصبح إنساناً ، ولقد رأيت ، وأرجو أن أكون صادقا • أن أستاذنا الدكتور شاكر الفحام - مد الله في عمره ، وأبقاه ذخرا لهذه اللغة الكريمة - قد جمع بين هذين الطرفين : العلم والإنسانية •

د • محمد حموية

الحب : نفحة عطر •• تمس قلبين ، فتنعش مناطق الموت فيهما ••

بين الحب والقبلة •• مسافة ملتوية

مثل زهرة تفتحت في ظل الوفاء •• صداقتنا

الصديق : حبيب لا يموت

ضياء قصبجي

كيفَ تهوي؟
شِعر: الدكتور جميل علوش

[القصيدة التي ألقاها الشاعر في ذكرى الاربعين لوفاة المرحوم الاستاذ عبد الفتاح الحياصات الأمين العام لاتحاد الكتاب الاردنيين]

كيف تَهوي وكنْتَ طوداً منيعا؟ يا عزيزاً مثلَ النسور رفيعا
ابعَدُ الظنِ أن تجوس المنايا لك غاباً وأن تجسَّ بضيعا
أبعَدُ الظنِ أن أراك طريحاً ملء عيني وأن أراك صريعا
لم تفارقْ زهو الحياة ففيمَ اخترتَ هذا الفراقَ والتوديعا؟
لم تَزلْ في نضارة العمر تختالُ ففيمَ ارتحلْتَ عنا سريعا؟
يشنأ العاجز الحياة من العجز وكنْتَ البصيرَ فينا السَميعا
كنْتَ كالنسر محجراً وكمثلِ النسرِ ان همَ وثبةً ووقوعا
كنْتَ تصلي العدو ان شط ناراً وتهزُ المغرورَ والمخدوعا
كنْت في الحومة الجريء على الصَوْلِ وما كنْتَ ناكصاً أو جزوعا
كنْت كفئاً لأن تلاقيَ جيشاً منَ عتاةٍ وأن تصدَ جموعا
لسْت أنساكَ في مجالس نادينا كما الجمْرِ وقدَةً وسطوعا
مرغيا مزبداً تكادُ من الغيظ على فائتٍ تشقُ الدروعا
كنْتَ صعبا على الحوادثِ صُلُباً وحصيناً على الخطوبِ منيعا

* * * *

ايهِ عبد الفتاح قد هبَتِ السلطُ تلاقيك أنفساً وربوعا
بعدَ طول الغياب عدت اليها لو تَوسمت وجهها المسفوعا
لو توسمت مقلتيها وقد سالت مآقيهما دماً ودموعا

طالما أنزلتك في المحجر الحاني وضَمتْ، عليك جفناً ورُوعا
طالما قد رعتك بالكبد الحرى ورفتْ غدائراً وفروعا
طالما قد ترقبت لك عَوْداً لربوع الحمى وودت رجوعا

انت محبوبها فكيف تطيقُ النوم عن راحلٍ وتهوى الهجوعا؟
وتمنَتْ مع الربيع لكم عَوْداً اليها لكن سبقت الربيعا
كلُّ ما تحمل السماء من العِطْرِ توالى على ثراكَ هطوعا
أنت كنْتَ الربيعَ والزهر والعِطْرَ وكنت المزن الدفوق الهموعا

* * * *

ايه عبد الفتاح قد أفلس الشعْرُ وأمسى يشكو هُزالاً فظيعا
عرّت الريحُ ما تطاوَل منه وتهاوت تبكي الفروعُ الجذوعا
فهو في كل ساعةٍ يتلقى زمهريراً مدمراً وصقيعا
يا له من عزيز قومٍ أذالوه وكانَ المُرجَّبَ المرفوعا
قد نزلت الفسيحَ من جنة اللهِ نجوداً مخضرَةً ونجوعا
فاذا جئتَ مربع المتنبي وفناءً له رحيباً وسيعا
وتأملْتَ بيته المتلالي وقناديلَ ملْئهُ وشموعا
قلْ له نحن من غِراسكَ في الدنيا وان خيلَ حبلُنا مقطوعا
قلْ له نحن قد حملنا لواءَ الشعْر لحناً منمقاً مَسْجوعا
قلْ له نحن لا نزال نغني مثلما شئْتَ شعرَك المطبوعا
قلْ له ان شعرَكَ الفذ فيه خير ما يُقتنى لدينا ويُوعى
قلْ له اننا نحبُ القوافي محكماتٍ لا يشتكين صدوعا
نحن قوْمٌ نغلي البلاغة في الشعر ونهوى التزيينَ والترصيعا
نحن قومٌ عذوبة اللحن تُصْبينا وتوري جوانحاً وضلوعا
نحن قومٌ نجرُ اردية الخزِ بياناً عذباً وصوْغاً رفيعا
والذي يسحب الكواكب أرداناً يعافُ الاصلاحَ والترقيعا

* * * *

ياحبيبي يمر طيفك عني فيريني مودة ونزوعا
رحم الله من خصالك عندي خصلة تفجر الأسى ينبوعا
كنْتَ ترعى غيبَ الصَديقِ اذا غابَ وتحمي أصولَهُ والفروعا
كنْتَ تختار كل صادِق ودٍ وتعافُ المكذوبَ والمصنوعا
كنْتَ تنوي فلا يعوقُك محذورٌ وتمضي فلا تكونُ هَلوعا
لا تطيقُ الحياةَ ذلاً وعاراً ان أطقْتَ الحياةَ عُرْياً وجوعا

* * * *

ايه عبد الفتاحِ موتك أبقى   في فؤادي جرْحاً عميقاً وجيعا
سالَ نهراً شِعْري وكانَ عصياً   وحباني دراً وكانَ منوعا
كل ما كنْتُ عاجزاً أمسِ عنْهُ   صرْتُ في لحظةٍ له مستطيعا
كيف أغدو لولا مصابُكَ مني   وأنا الظالِعُ المكبُّ ضليعا؟

* * * *

يا صديقي ان رحْتُ أحصي مزاياكَ مُشيداً بفضلهنَ مذيعا
فأراني مُقصراً عن كثير   رحْتُ أشكو في عدهنَ ظلوعا
لم تكن بالمشيحِ عن دعوة الحقِ ولا كنتَ للحقوق مُضيعا
قد حبوتَ الأوطانَ أحسنَ ما يُحبى هوىً زاخِراً وقَلْبا ولوعا
ليس يَلْقى أعداؤها منك في المحفِلِ الا التوبيخَ والتقريعا
كنْتَ تأسى على العروبة تُولي   غاصبيها تذللاً وخشوعا
تتلقى نوائبَ الدهرِ صَمْتاً   ووجوماً وذلةً وخنوعا
وتُعادي أبطالَها فتريهمْ   من أفاعيلها الكريهَ الشَّنيعا
قَتلَت اصفياءَها الغرَ من قبلُ وعاشت بذكرهم تشنيعا
كل حر «كناصر» تتقهِ   وتُسقّيه سُمَها المنقوعا
لم يخُضْ جولةً من الحرب الا   وتحدَّتْ لواءَهُ المرفوعا
وفلسطينُ حين خاض بنوها   حومة الحرْبِ حُوّماً ووقوعا
خذلتهم فأرهقتهم فراحوا   يَقبلونَ المحذور والممنوعا

* * * *

يا صديقي أحقق الموت حلماً   لك في أن ترى الخلود المريعا؟
ورياضاً قد وشعتها يَدُ الباري بما يفتن النهى توشيعا
وأفانينَ من زهور الروابي   تتحدى التلْوينَ والتنويعا
وينابيعَ من لذيذ الحُميا   تتصبى حورَ الجنانِ جميعا
لو رآها أبونواسٍ وقد روّت رياضاً من حولها وزروعا
ود لو لم يكن وقد خلبته   في تصابيهِ ماجناً وخليعا
وكؤوساً تديرُها الحور لا تنزف شيخاً ولا تؤود رضيعا،
أتأملت حسن ما يصنَعُ الباري ودنيا أجادَ فيها الصنيعا؟
خلِ عينيك يُغمضانِ على حُلْمِ تمنيتَهُ جميلاً بديعا
نم هنيئاً في جنة الخلْدِ واغنمْ   انَّ للعبد حافظاً وشفيعا

فإذا

مع النّواس .. في مجونه وتجديده

بقلم

عبد الغني العطري

لست أدري ايّ شيطان ألقى بين يدي بديوان شاعر الخمرة والمجون ، بعد أن غاب عن ناظري ، بين أكداس الكتب ، بضعة عشر عاما ، وكان هذا الديوان من قبل سميرا لي ومؤنسا أصطبح به ثم أغتبق . لست أدري كيف امتدت يدي تبحث عنه ، بعد طول فراق ، وكل ما أذكره أني كنت ذات ليلة ، أسبر بعض كتب الأدب القديم .. فإذا بي أقع على بحث عن الشاعر الماجن ، ومقطوعات له .. وإذا بهذه المقطوعات تثير شوقي إلى صاحبها وديوانه . ووجدتني أستعيد الأيام الخوالي ، التي كنت أقرأ فيها للنواسي ، وأنا على مقاعد الدراسة .

لا اذكر أني أحببت شاعرا ، بعد المتنبي وابن زيدون ، كما أحببت أبا نواس ، ولا وجدت متعة في قراءة شعر ماجن ومتمرد ، كما وجدتها في قراءة ديوان أبي نواس . ولست أزعم أني أحببت شعره ، لأنه يتجاوب مع نفسي ، ففي هذا الشعر من الإباحية والإلحاد والشعوبية ، ما أنكره أشد الإنكار وألوم صاحبه من أجله أعنف لوم . ولكني أحببت في هذا الشاعر روح المرح، وطربت لبراءة النكتة عنده . كما أدهشني استخفافه بمن حوله من المتزمتين ،وعدم مبالاته بصيحاتهم ، فقد كان شاعرنا لا يعبأ بالآخرين ، أيا كان لونهم واتجاههم ، بل أطلق لنفسه العنان، ليمرح كما يشاء ويلهو كما يشتهي ويحب .

لم تكن تخيفه صيحات المتزمتين ، ولا الثائرين على المجون ، والموبقات . كان يهزأ بهم ويسخر منهم ، ويسمعهم لواذع القول . كان ثائرا على القديم ، يكره الوقوف على الأطلال ، وتلذ له المجاهرة بالمعصية ، ويدعو إلى شرب الخمر ، كما يدعو الاتقياء إلى العبادة وطاعة الخالق العظيم .. وشتان بين الدعوتين ..

هذا اللون في أدبنا العربي ، طريف في بابه ، جديد في لونه ، لم يعرف قبل أبي نواس

ولا عرف بعده ، ولو صدر هذا المجون ، وهذا الفسوق ، وهذه المجاهرة بالإلحاد ، والدعوة إلى المعصية ، من شاعر غير النواسي ، وفي عصر غير عصره ، لكان مصير قائله الرجم ، والقتل ، واللعنة ، إلى يوم الدين • ولكن شخصية أبي نواس المرحة ، الضاحكة ، لم تعط إلحاده معنى الإلحاد الصحيح ، ولم تسمح لدعوته إلى المجون ، والعهر ، وشرب الراح ، ان تتخذ لون الكفر بمفهومه الكامل ، بل التمست شخصيته الضاحكة لهذه الامور كثيرا من المبررات والأعذار ، فالكفر الذي يدعو إليه الإنسان الرصين ، الجاد في دعوته ، هو دون ريب ، غير الكفر الذي يدعو إليه إنسان ، ضاحك ، ماجن ، ثمل ، الأول تؤخذ دعوته على محمل الجد ، ويحاسب على دعوته وكلامه حساباً عسيرا • بينما تقابل دعوة الثاني بشيء كثير من التسامح وعدم المبالاة • بل ربما قوبلت بالضحك والسخرية ، والاستخفاف والدعاء له بالهداية ، والعفو ، والغفران •

ولندع حديث الكفر والإلحاد ، أجارنا الله من شرورهما ، ولنقصر حديثنا على ناحيتين اثنتين من أدب أبي نواس ، هما مجونه ، وثورته على القديم •

عاش أبو نواس حياة كلها مجون ، وعهر وفسوق ، ما يكاد يصحو من سكره حتى يصلها بسكرات :

فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة
فإن طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن إلا أن تراني صاحياً
وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر

كان يجد حياته ولذته ، وأقصى متعته في الشراب والمجون ، لم يكن يجد لفراق الخمرة سبيلاً ، ولا يشعر بمعنى للحياة بدونها • إن الكأس صديقته الوفية ، ونديمته ، وسميرته ، وكما كان الشاعر يحب أن تكون سكراته متوالية• لا يكاد يصحو من واحدة ، قبل أن تتبعها الأخرى ، فإنه يحب كذلك ، أن تكون سكراته إلى حد الجنون والضياع• إلى الحد الذي لا يميز بعده الديك من الحمار ، وهذا لعمري منتهى الإغراق في السكر :

إسقني حتى تراني
أحسب الديك حمارا

•

ولم تكن مجالس الشراب هذه ، تقتصر على معاقرة بنت الحان ، بل كان يتخللها أو يعقبها أمور ، لا أسمح لقلمي بالخوض فيها ، والحديث عنها ، بل تكفي الإشارة إلى أن الشراب عند أبي نواس يستدعي وجود الجمال المذكر• ووجود هذا الجمال وحده ، في نظر شاعرنا النواسي لا يكفي ، بل لا بد من التمتع به ، وإطلاق العنان لشهوات النفس الماجنة على سجيتها •

وشعر أبي نواس في المجون ، يمتاز برقة اللفظ ، وجمال المعنى • إنه يسيل عذوبة وحلاوة لا يغوص فيه على الألفاظ الخشنة ولا يبحث عن المعاني الصعبة ، التي تثقل على الفهم • وأوزانه التي يختارها ، سهلة قصيرة ، وقوافيه تحس لها في الأذن وقعا موسيقيا مطربا • إن الشاعر في هذا المجال ، ينطلق على سجيته ، ويتحرر من التكلف ، الذي نجده في بعض أبواب شعره ، لنستمع إليه يقول :

سألتها قبلة ففزت بها
بعد امتناع وشدة الطلب
فقلت بالله يا معذبتي
جودي بأخرى أقضي بها أربي
فابتسمت وأرسلت مثلا
يعرفه العجم ليس بالكذب
لا تعطين الصبي واحدة
يطلب أخرى بأعنف الطلب

وكان شاعرنا يؤمن بالمجون إيمانا عميقا ويدعو إليه دعوة صارخة ، بل كان يلح في دعوته هذه ، ويكررها في كل مناسبة ، وهو يأمر الساقي أن يسقيه الخمر ، وينادي باسمها أمامه، مؤكدا أنها الخمر • لأن حياة الإنسان ، ولذته ، ومتعته ،في السكرة بعد السكرة ، والغبن أن يرى صاحيا ، والغنم أن يتعتعه السكر •• وعلى الساقي أن يبوح باسم من يهوى ، وأن يتجنب الإشارة والرمز ، لأنه لا خير في اللذات إن كانت سرا •• ويختم مقطوعته التي أتينا على تلخيصها بقوله :

ولا خير في فتك بغير مجانة

ولا في مجون ليس يتبعه كفر

ونستمع اليه يقول ردا على سؤال عجيب :

وقائل هل تريد الحج قلت له

نعم ، إذا فنيت لذات بغداد

•

أليس عجيبا ، أن يوجه مثل هذا السؤال إلى أبي نواس ، الشاعر الذي لم يؤمن الا بالمجون واللذة ، ويبحث عنهما أبدا ، ويزاولهما دون حرج أو جناح •

ومن الشواهد الناطقة على دعوته إلى المجون ، ومجاهرته بالمعصية ورقة شعره في هذا الباب قوله :

إله بالبيض الملاح

وبقينـــــات وراح

لا يصدنـك لاح

هـو عـن سكرك صاح

ليس للهـم دواء

كـاغتباق واطصباح

فلعمري ما يداوي الـ

ـهم بـالمـاء القراح

تحدث سليم بن منصور قال :

رأيت أبا نواس في مجلس أبي - وكان واعظا - يبكي بكاء شديدا ، فقلت : أني لأرجو أن لايعذبك الله ، بعد هذا البكاء أبدا ، فانشأ يقول :

لم أبك في مجلس منصور

شوقا إلى الجنة والحور

ولا من القبر وأهوالـه

ولا من النفخة في الصور

لكن بكائي لبكا شادن

تقيه نفسي كل محذور

•

لقد أراد هذا الواعظ ا لطيب ، أن يحسن الظن بأبي نواس ، حين رأى دمعه يسيل على خديه ، فظنها دموع الندم والتوبة ، فإذا بالشاعر يبادر إلى تصحيح ظن هذا الواعظ، ويخبره بأنه يبكي ، لأنه رأى غلاما يحبه يبكي

ومجون أبي نواس يتجلى في خمرياته ، وغزله المذكر •• وهذا الغزل جرىء ، مفرط الجرأة ، يصعب على الباحث الرصين ، أن يعرض له ويحلله في مثل هذا المجال ، فلنقصر حديثنا على خمرياته في باب المجون ، لننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن ثورته على القديم •

قلت إن ابا النواس ، كان يجد حياته ولذته ، واقصى متعته ، في الشراب والمجون ، ومن البديهي أن الانسان إذا أحب شيئا أكثر من ذكره ، والشاعر أي شاعر ، إنسان ، وجدير به أن يبالغ في وصف مايحب ، ويقدم صورا والواحا لهذا الشيء الذي يحب من مختلف النواحي والزوايا ، والحق الذي لا ريب فيه ، أن أبا نواس قدم للأدب العربي صورا للخمرة ومجالس الشراب، كان فيها المجلي على من تقدموه ، أو أتوا بعده هذه الصور والالواح ستظل خالدة أبد الدهر ، لنستمع اليه ، على سبيل المثال ، يصف

الكأس التي تدار فيها الراح ، حتى يكاد أن يرينا هذه الكأس ، وبات في مقدور أي رسام مفن أن يرسم الكأس التي وصفها الشاعر ، ويرينا إياها ، لوحة ناطقة على الورق :

تدار علينا الراح في عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها
مهى تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر مازرت عليه جيوبها
وللماء ما دارت عليه القلانس

وصف أبو نواس الخمرة ، وافتن في وصفها ، وزعم أنها شهدت عصر نوح ، ثم عاد وثمود ، وقال إنها تستطيع أن تتحدث بأخبار الأولين ، ويشبهها شاعرنا بالعذراء ، تخطب إلى أبيها الدهقان ، فيغالي في مهرها ، ويمتنع عن تزويجها لشاربها ، لأنه يريد أن يختار لها الاكفاء ، ووصف النواسي طعم الخمر وريحها ، وزعم أنها تزيل الزكام • وقال إنها لا تطبخ على النار ، ولا تراها شمس ، بل عتقت وتخمرت في جوف الأرض ، بعيدا عن الشمس والنار ، ويجري الشاعر حوارا شائقا بينه وبين الخمرة ، فيزعم أنها استوحشت ، وبكت لما وضعها في الدن وقالت إنها تخشى النار واللهب • ثم شكت من الشمس ، فزعم لها أن الحر قد ذهب ، فسألت عن خاطبها ، فأجابها أنه هو ، وبعلها الماء العذب وسألت عن لقاحها ، فأجابها : الثلج أبرده، وسألت عن بيتها ، فأجابها ، القناني ، والأقداح ، التي ولدت في عهد الفراعنة ، فطربت لذلك ، ثم تطلب الخمرة أن لا يشربها العربيد ولا اللئيم ، ولا المجوسي ، لأن النار ربهم ، ولا اليهود ، ولا من يعبد الصلبا ، ولا أسافل الناس ولا غر الشباب ، ولا من يجهل الأدبا ، ولا أراذل القوم ، وهي تطلب من يوقرها من السقاة ، ويختم النواسي قصيدته الرائعة التي أتينا على نثرها وتلخيصها بمغازلة الخمرة فيقول :

يا قهوة حرمت إلا على رجل
أثرى ، فأتلف فيها المال والنشبا

قيل إن أبا نواس وصف الخمرة وصفا لو سمعه الحسنان (الحسن البصري وابن سيرين) لهاجرا إليها ولعكفا عليها •

وصف أبو نواس مجالس الشراب ، والنديم ، والخمار ، وقص أخباره الفاحشة ومغامراته الشائنة ، دون استحياء أو تورع ، ذلك لأنه يعتبر التكتم في الرذائل مما ينقص اللذة على صاحبها ، وما دام ينشد اللذة بشتى أنواعها ، وما دام يلتذ ذوقه بطعمها وعيناه برؤيتها ، وكفه بلمسها ، وأنفه بشمها ، فلم يحرم سمعه هذه اللذة أيضا ؟ من أجل هذا نراه يأمر الساقي أن يسقيه الخمرة ويطربه بسماع اسمها:

ألا فاسقني خمرا ، وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

•

ولقد أنفق النواسي كل ماملكت يمينه من مال ونشب في سبيل الحصول على الكأس ، التي كان يفضلها على طعامه ، واذا ذكرنا انه كان ينال من أعطيات الخلفاء ، ولا سيما الرشيد والأمين ، الشيء الكثير ، وأنه ترك بغداد إلى مصر - لما ضاقت ذات يده - في سبيل الحصول على المال وشرب الخمر ، أدركنا مبلغ ما كان ينفقه عليها • وبالرغم من ذلك كانت تضطره ظروف قاسية إلى بيع ثيابه في سبيل كأسه :

فبعت قميصاً سابرياً وجبة
وبعت إزاراً معلّمَ الطرفين

•

وما كان يؤلم أبا نواس شيء ، مثلما يؤلمه تحريم الخمرة ، غير أن هذا لم يمنعه من

ماطيها والاعتراف بأنه فعال للمنكرات :

لكنني أبكي على الراح إنها
حرام علينا في الكتاب المنزل
سأشربها صرفاً وان حرّمت
فقد طالما وافقت غير محلل

وكان شهر رمضان أكثر شهور السنة مضايقة له، لأنه يحول بينه وبين كأسه ، وكان الشاعر يصوم ، ولكن على تذمر ومضض ، فإذا ما ضاق ذرعا بشهر الصيام ، افطر ، وشرب ، وأفحش ، فإذا ما ولّى شهر الصوم انشرح صدره وذهب عنه الضيق ، وأنشد :

ولى الصيام وجاء الفطر بالقدح
وأبدت الكأس ألوانا من الملح

ولنستمع إلى أبي نواس كيف يصور الثمل المغرق في السكر ، ببيت واحد ، صورة فيها كل الإبداع والواقع . صورة لا يقدر على إخراجها في هذا الإطار البديع ، غير شاعرنا العبقري :

فكلّ شيء رآه ظنه قدحا
وكلّ شخص رآه ظنه الساقي

ولنستمع إلى شاعرنا أيضا ، وهو يصور نفسه وظمأه إلى شرب الراح ، صورة كلها إبداع وفن :

ما زلت أستل روح الدن في لطف
وأستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي
والدن منطرح جسما بلا روح

لقد أحب أبو نواس الخمرة حتى العبادة وتهالك على اصطباحها واغتباقها .

لم يكن يردعه رادع ، ولا يزعه وازع ، أو يزجره زاجر . لم يعبأ بنصح ناصح ، ولا لوم لائم لنستمع إليه كيف يقابل النصح واللوم :

يا من يلوم عليّ خمراء صافية
صرف الجنان ودعني أسكن النارا

قالوا أن ابا نواس وصف الخمرة وصفا يبلغ حد التقديس ، وأنا أزعم أنه وصفها في بعض أبياته وصفا يكاد يبلغ حد العبادة . لنستمع إليه يقول :

أثن على الخمر بآلائها
وسمها أحسن أسمائها

قال الدكتور طه حسين في " حديث الأربعاء " عند الكلام على هذا البيت :

" أليس الشطر الأول منه تسبيحا للخمر ؟ أليس فيه الاستهزاء بالدين والسخرية منه ؟ أليس يذكرك بالقرآن ؟ أليس يذكرك قول الله تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " ؟؟

الحق أن في بيت أبي نواس ، كل ما تساءل عنه صاحب " حديث الأربعاء" من تقديس للخمر ، وتسبيح لها ، وهو قول أقرب إلى الكفر والزندقة ، منه إلى الإيمان ، وان لم يكن بالقطع كفرا ، وزندقة ، وإلحادا ، ولا أستطيع أن أؤمن بأن أبا النواس قال هذا في تمام عقله ، وكامل صحوه ،وجيد تفكيره :

وجملة القول إن أبا نواس ، عاقر الخمرة أربعين سنة " دون كلل ، أو ملل ، أو انقطاع اللهم إلا فترات قليلة ، حيل بينه وبينها ، وقد وصفها فابدع ، وأجاد ، وحلق ، وبز من تقدمه في وصفها ، ولم يدع مزيدا من القول فيها لمن جاء بعده .

وإذا ما تركنا الكلام عن مجون أبي نواس

بعد ان تحدثنا عنه بإيجاز • طاب لنا ان نتناول ثورته على القديم ، وحقده على شعراء الجاهلية الذين وقفوا على الأطلال واستوقفوا ، وبكوا من ذكرى الأحبة واستبكوا ، وذرفوا الدمع السخين ••

كان أبو نواس ثائرا على القديم ، خارجا عليه في كل شيء ، لم يقتف آثار الجاهليين ،

ولم يتتبع خطوات المخضرمين ، ولم ينسج على منوال الإسلاميين ، شأن جميع الشعراء ، فالجاهليون وقفوا على الأطلال والدمن ، واستوقفوا الصديق والخليل ، وبكوا ذكرى الحبيب المرتحل وذرفوا الدمع السخين على رسم درس ، وربع خلا ، ولكن أبا نواس سخر من هؤلاء الشعراء جميعا ، وأشبع عملهم تهكما ، وصنيعهم ازدراء• لم يصف الخيام والأطلال ، لأنه كان يقيم في عاصمة الخلافة العباسية ، ولا يليق بمن يسكن بغداد المتحضرة ، أن يتجاهلها ، ويصف الأطلال والدمن ، وليس في بغداد أطلال ولا دمن ، بل عليه أن يصف قصور الخلفاء ، ويتغنى بالحضارة يشيد بالمجتمع ، وكانت الخمرة والغلمان ، من مظاهر ذلك العصر ، من أجل هذا أفرط ابو نواس في وصفهما ، ونعى الباكين على الاطلال ، المتغنين ، الإبل والشاء •

ونحن نظلم أبا نواس ، ونتجنى على التاريخ ، إن زعمنا أنه كان عربيا محبا للعرب ، والحقيقة أنه شعوبي محب للفرس ، مؤثر لهم ، وإذا كان الشاعر قد ذم الأقدمين من الشعراء ، فلأن طريقتهم قديمة ، وعربية في آن واحد • وهو حريص على تملق الفرس والتقرب منهم •

كان الشاعر يدعو إلى ترك أساليب القدماء ، لأنه يحب الصدق في الشعر وفي العاطفة وكان يكره أن يقلد معاصروه الشعراء ، أساليب القدامى ، لأن لهؤلاء ألفاظهم ومجتمعهم وبيئتهم وقد تطورت لغتهم ، كما تطورت حياتهم ، ومن أجل ذلك يجب ان تتطورلغتهم ، لتنسجم مع الحياة الجديدة ، ومن مظاهر هذه الحياة ، الترف ولين العيش ، ومن واجب اللغة أن تلين وتتطور ، ومن واجب الشعراء أن يتخلوا عن أساليبهم القديمة • وكان شاعرنا كثير الإلحاح على الشعراء في تغيير أسلوبهم ، شديد التهجم على الجاهليين والسخرية منهم • لنستمع إليه يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله
وعجت أسال عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لي من بنو الأسد
ومن تميم ؟ ومن قيس ؟ ولفهما
ليس الأعاريب عندالله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر
ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد
كم بين ناعت خمر في دساكرها
وبين باك على نؤبي ومنتضد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة
صفراء تغرق بين الروح والجسد
من كف مضطمر الزنار معتدل
كأنه غصن بان غير ذي أود

واذا نحن أمعنا النظر في هذه الابيات ، أدركنا السخرية المرة ، من الشاعر القديم ، الذي نعته أبو نواس بالشقي ، لأنه وقف على رسم يناجيه ، بينما يسأل النواسي عن خمارة البلد ، ثم يهاجم الشاعر قبائل أسد وتميم وقيس ، ومن لف لفهم ، ويزعم أن " ليس الأعاريب عند الله من أحد " •• وفي هذين البيتين تظهر شعوبيته بأجلى معانيها ، ولنستمع إليه وهو يدعو على من يبكي على الاحجار ، ويهاجم من يصبو إلى الأوتاد ، ينتهي عن ذلك إلى المقارنة بين من يصف الخمرة ، ويعيش لملذاته ، وبين من يبكي

ويستبكي على الراحلين الذاهبين ، ولنصغ إليه ، وهو يدعو إلى ترك القديم ، وشرب الراح ، دع ذا عدمتك واشربها معتقة ..

مثل هذا الشعر ، في ديوان أبي نواس كثير .. كثير . والواقع أن شعر النواسي دعوة إلى الجديد في كل شيء ، إنه يكره القديم ، ويؤمن بأنه لا ينسجم مع العصر الذي عاش فيه وهو حريص على أن يعبّر بشعره عن عصره وبيئته ، ولا يريد أن يكون هذا الشعر صورة للعصر الجاهلي .. ولو فعل النواسي غير ما فعل لكان كاذبا . وحرم الأدب من صور الحياة الصحيحة في عصره .

وها نحن الآن ، أمام شاهد جديد من شعره الذي يدعو فيه إلى الجديد ولكن دعوته هنا تمتاز بالسخرية والتهكم واللذع :

قل لمن يبكي على رسم درس
واقفا ما ضرَّ لو جلس ؟
تصف الربع ومن كان به
مثل سلمى ولبينى وخنس

أترك الربع وسلمى جانبا
واصطبح كرخية مثل القبس

.

في هذه الأبيات كما أسلفنا ،كثير من السخرية والتهكم ، واللذع ، بمن يقف ليبكي على الرسوم والدوارس ، وفيها دعوة مكروهة ، إلى ترك البكاء على الأطلال والدمن ، واستبدالها بشرب الراح.

ويبدو أن أبا نواس كان شديد النقمة والحقد على امرىء القيس وصحبه من الجاهليين، لأنه كثيرا ما كان يكرر نصحه لهم ، وسخريته منهم ، وتهكمه بهم ، لنستمع إليه يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولنستمع إليه أيضا وهو يقول :

دع الرسم الذي دثرا
يقاسي الريح والمطرا
وكن رجلا أضاع العمر
في اللذات والخطرا

.

وأبو النواس لم يبك الدمن والأطلال ، كما فعل امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد وبقية الجاهليين من الشعراء ، ولكنه بكى أطلالا من نوع آخر ، بكى أطلال جماعة من صحبه الماجنين بعد أن اعتكفوا أياما ، وظلوا في سكر متواصل فقد بكى الشاعر أطلالهم ، وأثار جر الدنان على التراب ، والريحان الأخضر منه واليابس .

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جنى ويابس

ومما امتاز به النواسي ، وعدَّ من تجديده ، الجهر بالفسوق ، والإكثار من المعصية إلى حد الجنون . حتى انه كان يعتقد أن كتمان المعصية ينقص على المرء لذته . أما سمعناه يقول:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة
فإن طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن إلا أن تراني صاحياً
وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر
فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى
فلاخير في اللذات من دونها ستر
ولا خير في فتك بغير مجانة
ولا في مجون ليس يتبعه كفر

هل سبق أبا نواس إلى مثل هذا شاعر ؟؟!
وهل جهر بمثل هذا الفسوق ، والتباهي بالمعصية والمجون ، مما لم يسبق أبا نواس إليه سابق ، في مثل هذه الصورة ، وهذا الشكل ٠

وقد ولد أبو نواس معان كثيرة ، وخلقها خلقا جديدا ، يحق له أن يفخر بها دون ريب من ذلك قوله :

دع عنك لومي فان اللوم أغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

٠

وقد قيل إن الأعشى وقيس ليلى سبقاه إلى هذا المعنى ،فقال الأول :

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

٠

وقال الآخر :

تداويت من ليلى بليلى وحبها
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

٠

ترى أي الأبيات الثلاثة أكثر جودة ، وأقوى تركيبا ، وأقوم معنى ، وأوضح غاية ؟ بل أي الثلاثة أكثر ذيوعا وانتشارا٠٠ بين طبقات الأدباء ؟ ٠٠ وما أراني بحاجة إلى أن أشير إلى بيت أبي نواس ٠

وشاعرنا الضاحك ، لم يكتف بنعي الأطلال ، والقدح بمن بكى واستبكى ، ولا بالثناء على الخمرة وتقديسها ، بل تعدى ذلك إلى وصف مجالس الشراب ، وصفا يكاد يقرب من القصة ، التي قصر بها أدبنا العربي أيما تقصير، ولست أرغب في الإطالة بسرد الشواهد ، وضرب الأمثلة على ماأقول ، بل أكتفي بأول شاهد تقع عليه العين في ديوانه ، وأنا واثق كل الثقة من أن في الديوان شواهد كثيرة ، قد تكون خيراً من هذا الشاهد ، في قصيدته التي مطلعها :

واحور ذمي طرقت فناءه
بفتيات صدق مانرى فيهم نكرا

يروي لنا حادثة من حوادث مجونه وفسقه ، هذه خلاصتها :

" قرع أبو نواس وصحبه باب الذمي ، الجميل ، أحور العينين ،فهب الذمي مذعورا خائفا ، واقترب من الباب وسأل عن الطارقين ، فأخبروه بأنهم عصبة جاؤوا سعياً وراء بنت الحان فهدأ روعه ، واطمأن باله ، ثم فتح لهم الباب فظهر الذي فتى حسن الصورة و الشكل ، فسأله أبو نواس عن اسمه ، فأخبره به ، ثم أعلموه أنهم راغبون بقهوته المعتقة ، فأجابهم إلى سؤلهم ، وقال إن خمرته قد احتجبت في خدرها حقبا عشرا ، أي نحو ألف سنة ، ثم أدوا له خمسة دنانير ، ثمنا لخمرته ، وجلسوا يحتسون مع الساقي الجميل ٠ ووصف الشاعر بعد هذا مجلس الشراب والساقي ، وتغزل بحسنه ، وعذوبة حديثه ٠

**

وبعد ٠٠ فأبونواس ، كما وصفه الدكتور طه حسين "صاحب الجديد وحامل لوائه ، وخصم القديم وأشد أعدائه " وليس من العجيب أن يكون شاعرنا مجددا مبدعا ، إذا علمنا أنه كان يحفظ الشعر لستين امرأة من الشواعر ، فما بالك بالرجال ٠٠ ومعنى ذلك في نظري أنه كان يحفظ معظم الشعر العربي ٠

أبو نواس بعد هذا ، شاعر التجديد ، وحامل لواء الثورة على القديم في الأدب العربي وشعره كله يكاد أن يكون تجديدا وثورة ٠٠ إنه شاعر نسيج وحدة لم يجاره في فنه شاعر ٠٠ ولم يبزه بخمرياته ومجونه وتجديده أحد ٠٠ ولئن أساء أبو نواس إلى العرب في بعض شعره ، وتنكر للأخلاق بمجونه وعبثه ، ومجاهرته

بالفسوق والعصيان ،فما أحسب إلا ان الله غافر له بعض ذنوبه ، بعد أن ندم وتاب ، وهو على فراش الموت ، وقال مستغفراً :

دب في السقام سفلا وعلوا
وأراني أموت عضوا فعضوا

ليس تأتي من ساعة بي إلا
تقتضيني بمرها بي جزوا

ذهبت جدتي بطاعة نفسي
وتذكرت طاعة الله نضوا

قد أسأنا كل الإساءة يا رب
فصفحا عنا إلهي وعفوا

عبد الغني العطري

الغيداء المحجبة

شعر: محمد سعيد كيلاني

بالأمس جئت ، وكان الباص مزدحماً
يئن من حمله العاتي ويضطرب

يكاد يسقط من عجز .. ألم بـه
كابن الثمانين ، لا تقوى له ركب

حلت بقربي كعاب أشرقت وزهت
تجر طفلاً وسيما وجهه عجب

حتى إذا ما رآني راح .. مبتسما
كأنني منه أم - برة - وأب

ما قال بابا ، ولكن قال في شغف
(جدو) فكدت لفرط الشوق أنتحب

ألقى بنفسه فوقي ضاحكا غردا
وأمه أدبا ، كادت به تثب

ردته عني خجلى ، وهي قائلة
يظنك الجد يا عمي ، فلا عتب

فقلت : أبقيه قربي . إنني دنف
إلى حفيد ، فقلبي اليوم ملتهب

أنت ابنتي ، وهو ما يهوى وأمنيتي
أكون جدا ، فليل العمر يقترب

طفل غرير يناديني بما حلمت
نفسي به من ليال وهي تصطخب

فتيتي كلهم لا هون عن أربي
نسوا عنائي وزاد الهم والنصب

وفجر العطف في قلبي وأفرحني
طفل جميل المحيا شعره ذهب

وكدت من فرط حبي أن أعانقه
لكن خجلت وأبنائي هم السبب

V

شخصية العدد

الدكتور: عبد اللطيف اليونس

آراء وشهادات — الأدباء والكتاب في مذكراته

إعداد وعرض: يوسف عبد الأحد

(الدكتور عبد اللطيف اليونس مفكر كبير ، وسياسي لامع ، وصحافي جريء ، وخطيب مفوه، وناقد بارع ، وشاعر مبدع ، وقد اجتمعت هذه المواهب في شخصيته الفذة)

**

سعيد أبو الحسن :

" إن الفترة التي تشملها المذكرات ، هي أهم مرحلة مر بها وطننا العربي ، وسورية منه على الخصوص في خضم الصراع الاستعماري حول بلادنا والتآمر الدولي على مصير شعبنا ·

صاحب هذه المذكرات ، الدكتور عبد اللطيف اليونس يجد نفسه داخل عدة دوائر يجب كسرها والتغلب عليها :

١- دائرة الاقطاع والرجعية وهذه حاربها بتشجيع الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين والمثقفين وصغار الكسبة ·

٢- دائرة الجهل وهذه حاربها بتشجيع العلم والمتعلمين ·

٣- دائرة التعاون مع الأجنبي وموالاته والائتمار بامره ، وهذه حاربها بتكريم قائد الثورة المسلحة شيخ المجاهدين الشيخ صالح العلي ·

٤- دائرة الطائفية وهذه كانت مجسمة بالدويلة التي أقامها الفرنسيون على أساس طائفي ليجزئوا الوطن والشعب · كسر طوق العزلة وتمتين أواصر العلاقات بالعاصمة دمشق وبالمحافظات اثباتا لوحدة الوطن ووحدة الشعب ·

(الثقافة الأسبوعية ٢٧-٢-١٩٩٣)

عيسى فتوح :

إن من يقرأ هذه المذكرات يلمس العفوية في السرد ، والجمال في التصوير ، والحرارة في التعبير والصدق في الرواية ، ويتمتع بالأسلوب العربي المبين الذي يذكرنا بأساليب الفحول من أئمة النثر العربي ، في العصرين الأموي والعباسي فقلم الدكتور اليونس قلم سيال يمده فكر ثاقب وبحر زاخر من الالفاظ المشرقة ، والعبارات المتدفقة كالسيل ، ومن سمعه يخطب في الجموع يدهش في بلاغته وطلاقته وتدفقه ، فلا يتردد، ولا يتلعثم ويبقى على هذا المنوال ساعات ·

ما يميز هذه المذكرات عن غيرها كثرة الاستطرادات فيها ، فكان يكتفي بوضع ثلاث نجمات حين الانتقال من موضوع لآخر ، أو من فكرة إلى أخرى ·

ومهما يكن الأمر فهذه المذكرات تغري القارىء وتدفعه إلى الاهتمام بها ، رغم ازدحام الاحداث واكتظاظها ووفرة الإعلام ، نظرا لأسلوبها الشائق وطلاوة العبارات وأناقة الألفاظ ·

(جريدة البعث ٢١-٢-١٩٩٣)

علي القيم :

عبد اللطيف اليونس يفتح لنا مستودع ذكرياته ، ليحدثنا عن ذاكرة الشعب والوطن ، فيكتب للتاريخ عن فترة عاشها وعايشها وتفاعل مع أحداثها ويفرد صفحات من تجاربه وخبرته .

إن الدكتور اليونس ينقل لنا بأسلوبه الشيق وبيانه الرفيع صفحات من ذكريات وأحداث جسام ، وآمال وأحلام حتى قيام الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد، فيقول عن هذه المرحلة العظيمة من حياة أمتنا ووطننا : " سنة ١٩٧٠ قام بـ " حركة تصحيحية" حافظ الأسد . لم أكن أعرفه قبل ذلك ، ولكني وضعت رسمه أمامي على المكتب ، وبدأت أتفرس فيه ، وقد كونت فكرة رائعة عن " حافظ الأسد " لأني رأيت مظاهر الرجولة والرصانة والثقة بالنفس تبدو جلية واضحة في قسمات وجهه مثلما تبدو سمات الصدق والاتزان والنبالة ، فقررت أن أقف صفحات الجريدة لتأييده "

(جريدة تشرين ٦-٤-١٩٩٣)

السيدة سمية اليونس :

سجل بصدق وأمانة مذكراته ، كتبه بقلم مترف ناعم ، ورسمها بريشة حساسة أنيقة .

عرض أفكاره بجرأة المصلح الاجتماعي وذكاء السياسي المحنك ، أحاطت بالأحداث الكبيرة والمتشعبة ، موهبته الادبية ، التي زينتها ذاكرته المميزة أثناء عرض التاريخ الذي عاشته هذه المنطقة خلال عشرات الأعوام .

بدأ من البيئة الريفية الصافية ، التي نشأ فيها بنهاية الحرب العالمية الأولى .

احترف السياسة ، وامتهن الأدب ، ومارس الصحافة ، حمل وطنه بكل جوارحه في غناه وفقره ، في أستعماره واستقلاله ، في حله وترحاله .

ـ الثقافة الأسبوعية ٩-١-١٩٩٣)

السيدة نجوى حسن :

مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس موسوعة تاريخية أدبية ، شاملة لحقبة ليس بالقليل زمنا وأحداثا .

حملت مذكراته بين دفتيها ثلاثة شطآن كل منها زاخر وملىء ومتواصل مع الآخر .

شاطىء الأمان عند فتح بيته وقلبه وقلمه ويده لكل محتاج .

شاطىء الجهاد الذي لم يترك ثانية من عمره إلا وهبها لنصرة الحق والإنسانية ومحاربة الاقطاعيين والرجعيين و الظالمين والمتآمرين .

شاطىء الاصطفاء ، تمثل في هذه الفترة عمله مع النخبة النجباء في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وأيضا بدأ العراك فالنفوس المريضة ليس بالسهل شفاؤها واليد المتمكنة ليس بالسهل اقصاؤها .

(الثقافة الأسبوعية ٢٣-١-١٩٩٣)

السيدة وداد قباني :

مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس سجل حافل بزخم العطاء، والنضال الدؤوب ضد الاقطاع والتخلف والاستعمار وكل أعداء الوطن الداخليين والخارجيين .

رهن حياته منذ اليفاعة لخدمة قضاياها.

شخصية الدكتور عبد اللطيف اليونس بمزاياها الأدبية والإنسانية والتي استطاع أن يوظفها ويستخدمها استخداما كاملا لخدمة

شخصيته السياسية التي كان نضالها ينقسم إلى مراحل هامة وهي كالتالي :
١- مرحلة نضاله الأولى ضد الجهل والتخلف والاقطاع والطائفية في منطقة صافيتا ، وتبدأ منذ عام ١٩٣٠
٢- مرحلة نضاله ضد الاستعمار الفرنسي وتأريخه لثورة الشيخ صالح العلي التي كانت أول طلقة في صدر الاستعمار عام ١٩١٨ .
٣- مرحلة خروجه من البلاد " سورية " إلى العراق الشقيق هربا من اعتقال الفرنسيين له وحياة النفي والتشرد التي عاشها في العراق .
٤- انتهاء هذه المرحلة وعودته إلى سورية ومعاودة نشاطه السياسي ونضاله من خلال خوض معارك انتخابية أتاحت له النجاح في ثلاث دورات متتالية
٥- خروجه من سورية إلى المهجر في الأرجنتين والبرازيل ونضال مكثف دؤوب للدفاع عن القضية الفلسطينية ومناهضة الصهيونية العالمية ثم العودة إلى سورية لاعادة الصلات الودية والوثيقة مع الوطن الأم ودعوته السلطات السورية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد لمد الجسور بين الوطن الأم وأبناء المهاجر "
(الثقافة الأسبوعية - ٣٠-١-١٩٩٣)

هاني الخير :

صفحات مطوية ومجهولة من حياتنا السياسية والاجتماعية .
تعتبر هذه المذكرات الشيقة ، المزدانة بصور نادرة مع شخصيات عربية وعالمية ، صورة نابضة حية من تاريخنا الحديث ، وقد كتبها الدكتور عبد اللطيف اليونس (نائب مدينة صافيتا السابق أيام الحكم الوطني) الأديب السوري المعروف بأسلوبه المتميز بنصاعته ودقته وايجازه .
(جريدة الثورة - ٢٦-١٢-١٩٩٢)

سمير عربش :

الدكتور عبد اللطيف اليونس صاحب الكلمة والقلم والموقف .
الدكتور عبد اللطيف اليونس ، غني عن التعريف فهو صاحب كلمة وقلم وكلاهما متلازمان فيه ، جرأة وقوة ، صوتا وايمانا ، تواضعا وحبا ، ومع ذاك وذاك هو صاحب سجل ثري في النضال الوطني وصاحب فضل كبير على الحرف العربي في ديار الاغتراب .
فالدكتور اليونس يشد القارىء إلى حقبة من التاريخ امتدت اكثر من خمسين عاما ، غنية بالنضال الوطني ضد عهود الاستعمار والظلم والاقطاع " .
(مجلة المصور الجديد شباط ١٩٩٣)

الدكتور خير الدين عبد الصمد :

ان ما قرأت في مذكراتك يكفيني لتبرير صرختي المدوية بأنك المناضل العظيم الذي كرس حياته وما زال يكرسها بدأب وصمت وترفع عن صغائر الحياة الدنيا لإحياء عزة وطننا العربي الكبير وتمجيد مكرمات أمتنا العربية العظيمة ، وان مذكراتك سوف تبقى مشاعل نور تضيء بها دياجير الظلام أمام أجيالنا الصاعدة وتاريخا أصيلا لأحداث حقبة حرجة من نضال أمتنا المجيدة "
(الثقافة الأسبوعية ٣-٤-١٩٩٣)

حيدر علي :

الدكتور اليونس في مذكراته صدق مع التاريخ.. وفاء للبيئة .. شمولية للوقائع .
تعبر بنا مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس ثلاث مراحل من تاريخ سورية المعاصر..

مرحلة الاحتلال الفرنسي ، ومرحلة الاستقلال والصراع من أجل التقدم والنهوض الوطني ومرحلة الاستقرار المعاصرة .

وفي كل مرحلة يشبع المؤلف احداثه تصويرا ودقة تاريخ وصدق تناول .

ولأنه لم يعبر عاديا في أحداث تلك المراحل فقد صور الاحداث بلغة غير عادية ووعي عادي .

وفي بادرة تاريخية يلقي الدكتور اليونس الضوء على شخصيات اجتماعية ودينية ساهمت كثيرا في النهوض الاجتماعي وقارعت الاستعمار ولم نكن نسمع بها او نقرأ عنها من قبل "

(جريدة الثورة ١١-٤-١٩٩٣)

رامز شقرا :

مذكرات الدكتور اليونس في نظري يجب ان تقرأ ، لا من جيلنا الذي عاش فترة منها بل من الجيل الجديد الذي سمع شيئا منها وعنها لأنها تصور الصراع والكفاح في تاريخ سورية الحديث خلال أكثر من نصف قرن ، وأنا أعتقد أن هذه المذكرات بل هذه الملحمة القومية الوطنية تصلح لتكون مصدرا لتمثيليات او مسلسلات او ندوات سينمائية وتلفزيونية ليقتبس شبابنا من نورها ولألائها دروسا في الوطنية والكفاح دون محاباة .

ونحن كمغتربين لنا مع الاستاذ عبد اللطيف حساب خاص فهو سفير الوطن الاول الى دنيا الاغتراب ، وسفير المهجر الى الوطن الام ، حمل هموم المغتربين الى وطنهم وجاهد وعمل وكتب وحاضر عشرات بل مئات المرات في سائر دنيا الاغتراب . واستطاع ان يبني صداقات وعلاقات ما زالت تذكره وتحن لرؤياه وسماع صوته الداوي في المجالس والمجتمعات ونقرأ مقالاته التحليلية العميقة عن قضايا الوطن العربي عامة و سورية خاصة "

جريدة حمص ٩-٤-١٩٩٣

سيرة حياته :

ولد عبد اللطيف اليونس في بلدة "بيت الشيخ يونس " التي تقع في الجنوب الغربي من مدينة صافيتا ، بمحافظة طرطوس وسجل في دائرة نفوس صافيتا سنة ١٩١٤

وبلدته تحمل اسم عميد الأسرة العريقة والشهيرة بمركزها الديني والزمني المرموق . وهي تنتمي إلى " آل ياسين " الكرام ويمتد نسبها إلى محمد بن اسحق التنوخي " أمير اللاذقية .

نشأ في بيت عريق أنجب العلماء والساسة والمجاهدين .

منذ طفولته كان أساتذته يعهدون إليه أن يخطب باسم الطلاب في المواقف الرسمية ، وكانوا يعدون له الكلمة سواء بالعربية أم الفرنسية ثم ظهرت موهبته بالارتجال .

تلقى تعليمه على يد العلامة الشيخ عبد الرحمن الخير . والعلامة جبر ضومط .

توفي والده وهو مايزال في الصفوف الابتدائية .

كان والده شيخا ورعا تقيا ، جليل القدر، رفيع المقام ، وكان برا ومحسانا

ظل عبد اللطيف يتابع القراءة والمطالعة رغم الظروف الصعبة التي واجهته بوفاة والده ، حتى أصبح مستواه الثقافي لا يقل عن مستوى خريجي الجامعات .

تاثر بطائفة من الأدباء الكبار أمثال الأمير شكيب أرسلان وطه حسين والحوماني ونجيب الريس ومن الشعراء :المتنبي وأحمد شوقي وبدوي الجبل وبشارة الخوري وعمر أبو ريشة

وايليا ابو ماضي ونديم محمد والشاعر القروي وحامد حسن وغيرهم ٠

اقترن بابنة عمه في سن مبكرة وأُنجبت له ابنتين هما (أمل)و (سمية)

عمل في التدريس في بلدة وادي العيون مدة سنة واحدة ثم عمل رئيسا لتحرير جريدة صوت الحق التي كانت تصدر في اللاذقية ، وكان صاحب الامتياز عابد جمال الدين ٠

وفي عام ١٩٤٧ كلفه رئيس الجمهورية شكري القوتلي بالذهاب إلى أميركا الجنوبية والبرازيل والأرجنتين للدعاية للقضية الفلسطينية فلبى الدعوة وزار فنزويلا والبرازيل والأرجنتين والارغواي وتشيلي ، وألقى العديد من المحاضرات في الأندية والمحافل العربية كشف فيها أطماع الصهيونية في الوطن العربي فنالت هذه الخطب إعجاب وتقدير المغتربين ٠

في أواخر عام ١٩٤٩ فاز عبد اللطيف بعضوية مجلس النواب عن منطقة صافيتا وقد أُحدث فوزة ضجة كبرى لأنه وقف في وجه الاقطاعية وتغلب عليها وفاز بثقة شعبية كبيرة وبهذه المناسبة أرسل اليه الشاعر " نديم محمد " هذين البتين البليغين تعبيرا عن الواقع الاجتماعي في ذلك الظرف :

" تهنئتي ٠٠ لا بالذي أخذها
وتركها سيان عند الرجال
لكن ٠٠ لدرس بالغ وحده
لقنته وحدك أهل الضلال

وفاز اليونس للمرة الثانية في الانتخابات النيابية عام ١٩٥٤ وقام خلال الفترة ١٩٥٤-١٩٥٨ بنشاط كبير في مختلف المجالات ٠

وفي عام ١٩٦١ فاز للمرة الثالثة بالنيابة عن منطقة صافيتا وفي مطلع عام ١٩٦٤ سافر إلى أميركا الجنوبية وزار خلالها فنزويلا والارجنتين وتشيلي والبرازيل وأسس في مدينة سان باولو جريدة (الأنباء) وكرسها للدعوة إلى القضايا العربية والدفاع عن حقوق الأمة والوطن وقضية فلسطين بصورة خاصة ٠

وفي عام ١٩٧٥ تنازل عن امتياز الجريدة لصديقه الأستاذ نواف حردان ٠

ثم انتقل من البرازيل إلى الارجنتين تلبية لدعوة المغتربين فأسس فيها جريدة الوطن التي صدرت باللغتين العربية والاسبانية ٠

○

نال شهادة الدكتوراه من الجامعة الكاثوليكية :

في غام ١٩٨٧ دعت الجامعة الكاثوليكية المشهورة في الأرجنتين الاديب الكبير عبد اللطيف اليونس لإلقاء محاضرات عن " الحضارة العربية وأثرها في تطور الإنسانية " وكان قد ألقى عددا من المحاضرات في هذه الجامعة ٠

وبتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٨٧ لبى الدعوة وألقى محاضرته القيمة فنالت إعجاب الجمهور واستمرت أكثر من ساعتين وحين انتهائه وقف الدكتور (فوسبيري) رئيس الجامعة وارتجل خطابا تحدث فيه عن شخصية الأستاذ اليونس وأثنى على سعة اطلاعه وغزارة معلوماته قائلا :

" نحن أمام عالم علامة سمعناه سابقا " وبهذه المناسبة يشرفنا أن تقرر جامعتنا أن تمنحه شهادة الدكتوراه ، ونعتبره عضوا في جامعتنا هذه وفي الجامعات الكاثوليكية في أميركا اللاتينية ، ثم قدم له براءة الشهادة وسط عاصفة من التصفيق والتكريم والتهاني الحارة ٠

(المرجع : كتاب : الدكتور عبد اللطيف اليونس بقلم الأديب نعمان حرب)

كتاب الدكتور عبد اللطيف اليونس - أديبا سياسيا - صحافيا بقلم الأديب نعمان حرب ١٩٨٨

الجرائد التي أسسها :

١- جريدة صوت الحق في اللاذقية عام ١٩٣٨-١٩٣٩

٢- جريدة الانباء صدر العدد الاول بتاريخ ١٩-٣-١٩٦٩ في مدينة سان باولو - البرازيل • صدرت باللغتين العربية والاسبانية • تنازل عن امتيازها لصديقه نواف حردان عام ١٩٧٥

٣- جريدة الوطن صدر العدد الأول بتاريخ ١٦-٨-١٩٧٨ في مدينة بونس ايرس - الأرجنتين وهي لا تزال تصدر حتى الآن ويحررها الصحفي بيدرو تشكمكيان •

اعداد : يوسف عبد الأحد





مؤلفات الدكتور عبد اللطيف اليونس :

١- الجبل المريض - ١٩٤٤

٢- ثورة الشيخ صالح العلي - طبعة أولى ١٩٤٧ طبعة ثانية ١٩٥٩ - وزارة الثقافة

٣- بين عالمين - مجموعة أحاديث ومقالات ١٩٥٥

٤- شكري القوتلي - حياة رجل في تاريخ أمة - دار المعارف - مصر ١٩٥٩

٥- المغتربون - مطبعة العرفان - صيدا ١٩٦٤ كتب مقدمة الكتاب المرحوم الأديب نظير زيتون ،

٦- شفيق معلوف شاعر عبقر وأهازيج الفن - بونس ايرس - الأرجنتين ١٩٦٦

٧- زكي قنصل شاعر الحب والحنين - بونس ايرس ١٩٦٧

٨- من صميم الأحداث ١٩٦٧

٩- مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس دمشق ١٩٩٣

الشك وهاجس الحرمان عند الشاعر الأمير عبد الله الفيصل

بقلم

وداد قباني

سورية

لا تسأليني عن جراح الهوى
وكيف واراها أنين الفؤاد
ولا عن الدمع الذي هاجه
حب مضى خلف سحيق الوهاد
فلم يعد للقلب من نشوة
ينسى بها الحرمان غير الرقاد

هكذا يعبر الشاعر الأمير عن نفسه المتألمة بين لواعج الحرمان ، وهواجس الشك ، والتعطش الى الحب . ولعله يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن لأمير أعطاه الله كل أسباب النعم أن يشعر بالحرمان أو يتحدث عنه ..؟ فالشاعر الأمير عبد الله الفيصل ولد في سدة الإمارة وهذا والله حظ عظيم .

جمع بين الإمارة والشعر ، لأن يد القدرة الإلهية قد تدخلت في كثير من الدقة والإحكام في محاباة رائعة وعناية فائقة فجمعت في شخصه ، الأمير المترف ، والعاشق في آن معا ، مما أتاح له أن يعتبر من شعراء القمة في المملكة العربية السعودية .

فهو من الشعراء الأحياء أمد الله في عمره ولا يزال انتاجه مستمرا .

في ديوانه (من وحي الحرمان) استطعت أن أتلمس مواطن هذه المعاناة الكبيرة .. معاناة الحرمان التي يشكو منها الشاعر الأمير .

**

قبل الولوج في معاناة الحرمان لا بد لي من التطرق إلى البيئة الاجتماعية والسياسية التي نشأ فيها . فالشاعر الأمير من مواليد ١٣٤١هجرية الموافق ١٩٢٢ ميلادية ، تلك المرحلة التي كانت بداية انفتاح المملكة على العالم كله ، حيث كثر عدد الوافدين إليها من عرب وأجانب للعمل أو للتعليم ، مما كان له الأثر الكبير في صلات فكرية وإنسانية وثيقة ، واحتكاك مباشر مع بيئات اجتماعية مختلفة وبخاصة كون المملكة

العربية السعودية أكبر مركز إسلامي في العالم ·
ففي المملكة العربية السعودية يؤدي المسلمون فريضة الحج ، وفي رحابها ينعقد مؤتمر إسلامي سنوي يأتي إليه المسلمون من كل أصقاع الأرض·

فإذا أردنا أن نبحث عن جوانب الحرمان في شخصية هذا الأمير الشاعر ، الذي شبهه بعض الدارسون بالشاعر عمر بن أبي ربيعة من حيث اقتصار شعره على فن الغزل وحده ، وعندما نتحدث عن الغزل عند شاعر ما ، فالمقصود بذلك ضمنا " المرأة " ··

نعم ·· " المرأة " ·· هذا الكائن الذي غلف حياة الشاعر ، وأعطاها سمة خاصة ، إلا أن الأمر يختلف بين شاعر مثل عمر بن ابي ربيعة وشاعر أمير ، مسلم ، ملتزم · نشأ في مجتمع محافظ لا يبيح اختلاط المرأة بالرجل إلا في حدود الشرع والدين والتقاليد ، فهي فيه الكائن المصان الذي يحافظ عليه الجميع · والرجل - عادة - في مثل هذا المجتمع ، لا يطمح إليها إلا في إطار العفة والشرع حيث أن للإسلام نظرة سامية نحوها·

في هذة البيئة ، ولد الشاعر الأمير ، ومن الطبيعي أن تكون مشاعره وأحاسيسه نحوها مقدسة ، حيث يرتبط الحب بالعفة · ومن هنا تبدأ رحلة الشاعر مع الحرمان فراح يعبر ويصف لواعج حبه وحرمانه ·

" المرأة " ·· هي الحب ·· هي الحرمان ·· هي الشك ·· وهي المقصودة في شعره ·· إليها يتوق ، فقد غلفت وجدانه ، لا يبتعد عنها إلا ليعود إليها ، وهو القائل :

مهما اختصمنا ، فإن الشوق يجمعنا
أو افترقنا فإن الحب يدنينا
·

وإذا ما أخذنا جانب الغزل في شعر الأمير عبد الله الفيصل ·· وعرفنا أن المرأة هي المقصودة حتما ، فلنعد إلى المرأة الأصل في حياته وإلى أسباب تلك النظرة المقدسة التي أعطت لشعره مشاعره الكثير من الكبر والصدق والإنسانية ·

المرأة الأصل في حياة كل إنسان هي : " الأم " ، ذلك المخلوق الذي أجمع العالم كله على تقديسه ، بشكل عادي · فكيف إذا كانت هذه الأم أميرة ·· ؟ !! فوالدته هي الأميرة سلطانة السديري أعرق العائلات السعودية · هذه الأم الواعية للمسؤوليات التي تنتظر إبنها الصغير فأعدته بنفسها لمتطلبات الحياة ، لم تستعن بتربيته بمربية قط ، بل أشرفت وحدها على تربيته ، وحرصت على إعداده بنفسها ·

من هنا بدأت علاقة هذا الأمير الشاعر بالمرأة من خلال أمه ، علاقة حميمة ، رائعة ، احتلت في إحساسه مركز القداسة ··

إنطلاقا من هذا · رأى المرأة أما عظيمة، ومربية فاضلة ، وسيدة مدبرة تحرص على إعداد قادة المجتمع وأسياده · هي الكائن الذي يحرص عليه أشد الحرص بقالب من الوفاء والعفة والحب يقول :

هو الداء يعبث في أضلعي
إذا ما نعيت ، فلا تجزعي
ولا تبعثي صرخة في الفضاء
ولا ترسلي مدمع الموجع
فلا بالمدامع برء الجراح
فخلي النواح ولا تجزعي
ولكن عليك بحفظ الوداد
وصوني عهود الفتى الألمعي
وعيشي مدى الدهر بالذكريات
وطوفي بمغنى الهوى واخشعي
وزوري ثراي إذا ما السكون
أطل وعند الثرى ·· فاركعي
·

الوفاء ·· ثم الوفاء ·· جناح الحب الذي يطير به نحو علياء النجوم ، فلا هو البكاء

على الحبيب ، ولا هو الصراخ الذي يقطع نياط القلب ، هما ما يريد من حبيبته ، إنه لا يريد إلا الذكريات الجميلة تعيش في القلب وفية ، يقول :

لئن ضم جسمي ذاك الثرى
لقد ضم عهدي وحبي معي
وحطي على القبر بعض الزهور
ففي الزهر ذكرى لقا ممتع
أطيلي الوقوف على مدفني
إذا ما اعتزمت بأن ترجعي

فطيفك يخفق في خاطري
وصوتك يهتف في مسمعي

•

من أي جانب يعيش الحرمان أمير مثله؟ وما هي أسبابه ؟؟ ودوافعه ؟ وأبعاده ؟ فمن مقدمة ديوانه " من وحي الحرمان " يحدثنا هو عن نظرته للحرمان ، يقول :

" أجل ٠٠ أنا محروم ٠٠ الحرمان مرادف للشقاء ، أو بداية له ، أو هو دليل عليه والشقاء عكس ذلك ، والسعادة ٠٠ ما هي ؟ !! وفي أي شيء تكون ؟ ٠٠ هل هي في المنصب والجاه ٠٠؟ أو في الإمارة والوزارة ٠٠؟ أم هي في الشباب والجمال ؟ أو هي في الثروة والمال ؟ !!

إن كانت كذلك فأنا سعيد كل السعادة ولكن أنت محروم من السعادة إذا فقدت الاحساس بها ولو اجتمعت لك كل متمماتها وإعتباراتها ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ لأن إحساسك متأثر بعوامل أخرى من الألم والأسى تشغله وتستأثر به عن الشعور بالسعادة ، ولهذا وحده أنا محروم "

وإذا ما تحدثنا عن أسباب شعوره بالحرمان ، نراه يفسر ذلك :

" ٠٠ أحببت أربع مرات ، وكنت فاشلا في حبي خلال المرات الأربع ، ومن هنا شعرت بعقدة تجاه الحب ، الحب الصادق من الطرف الآخر ، وربما كان هذا هو أحد أسباب شعوري بالحرمان ، وأحد أسباب شكي الدائم في صدق الحب والحبيبة ٠٠"

ولعل الشك إذا تمكن من قلب إنسان أوهاه وأمرضه ، فكيف إذا استوطن الشك قلب شاعر !! محب مدنف ٠٠ ؟!!

هذا ما كان مع الشاعر الأمير ، عاش في غربة مستديمة وحرمان مقيت ٠ ولعل أقسى أنواع الحرمان ذاك الذي يحول بين المرء وبين مؤاخاة حقيقية مع من حوله من الناس ، وبخاصة ، إذا كان هذا المرء شابا ، غنيا ، في مقتبل العمر ، وزيرا لوزارتين ، ومن أسرة حاكمة ، فهو لن يعرف طعم الحب الحقيقي ولن يدرك كنه معاملة الناس له ٠ هل يحبونه هو كإنسان يستحق الحب والتكريم٠٠؟ أم أنهم يتظاهرون بذلك ؟

كيف تتحقق هذه المعادلة ٠٠؟

الإنسان العادي شاعرا كان أم لا ٠ يتمنى مالا يغدقه على محبوبته وأهله وأصدقائه ، أو مركزا يكون به قبلة الأنظار من عارفيه ، أو نفوذا يستقطب به الوجهاء ، أو حسنا وشبابا يجذب به الفاتنات إليه ٠ ٠

ولكن أين هو الرجل الإنسان من كل هذا ؟ إذا ما تضافر المال والمركز والنفوذ والأصل العريق والشباب في شخص كالشاعر الأمير عبد الله الفيصل ٠٠؟

كيف يتعرف هو على ذاته الحقيقية أولا وكيف يجدها ٠٠؟ فلا عجب إذا ماوجد الشك طريقا اليه ٠٠ يقول الشاعر الأمير :

أكاد أشك في نفسي لأني
أكاد أشك فيك ، وأنت مني
يقول الناس إنك خنت عهدي
ولم تحفظ هواي ولم تصني
وأنت مناي أجمعها مشت به
إليك خطى الشباب المطمئن

هو هكذا حائر ٠٠ تختلج مشاعره بين سقم الحرمان ، وحيرة الشك ، مصدق ومكذب ، يعيش القلب في أوج الحب ، يقول :

يكذب فيك كل الناس قلبي
وتسمع فيك كل الناس أذني
وكم طافت عليّ ظلال شك
أقضت مضجعي واستعبدتني
كأني طاف بي ركب الليالي
يحدث عنك في الدنيا وعني
على أني أغالط فيك سمعي
وتبصر فيك غير الشك عيني
وما أنا بالمصدق فيك قولا
ولكني شقيت بحسن ظني

هي المرأة ٠٠ شغلته واحتلت مكانة خاصة في شعره وحياته ٠ يتوق إلى لقائها في مجتمع محافظ تسوده علاقات بيئية يفرضها الإسلام وتقاليده وأخلاقه ٠ وتلك العوامل التي أضفت على المرأة سمة مميزة ٠ فهي الثمرة ، لكنها بعيدة المنال ٠ ولا شك أن الحرمان يتجلى وثيقا بالشك فيها والشك بنفسه ، فامتزج الحب به فعاش القلق مرحلة سديمية تبدأ ولا تنتهي ٠٠ يقول :

يزحم الشك خاطري فأراني
منه في شقوة العذاب الرهيب

لكن ما مصدر هذا الشك ٠٠؟ إنه بالتأكيد غرام قديم ٠ وهو القائل :

شيّع الليل ساهرا يا حبيبي
وصل الصبح بالضحى بالغروب
شاكياً باكياً غراماً قديماً
والتياعاً يجد بالتعذيب
طوح اليأس بالأماني وولت
أمسيات الهنا وضلت دروبي

هو والشعر ٠٠ عاطفة ولغة يندفع بهما للكشف عن خبايا نفسه للمرأة المعشوقة ، واضعا عمره كله بين يديها ، يقول :

أبصرت في عينيك عمري كله
وعرفت كم أنا أضعت شبابي
ورأيت نفسي في الحياة وضيعها
أشكو اغترابي في ندي صحابي

٠

وأي اغتراب أقسى من غربة الإنسان مع أهله وأحبابه ؟ !! لا يثق بمن حوله ولا يطمئن إلى محبتهم الصادقة ، تلك الغربة ستقوده حتما إلى العزلة٠، لكنها عزلة من نوع آخر ٠٠ إنه يتعبد في محرابها ٠٠ يقول :

ورجعت للمحراب أنشد عزلتي
لكن خيالك كان في محرابي
أين المفر ؟ ومنك ثم إليك ما
أسعى ، وما بي في غرامك ما بي

٠

أجل ٠٠ يهرب منها ، لكن إليها يعود ، يقفل على ذاته ، فيجدها تعيش في ذاته لا تفارقه ، إنه يعيش رومانسية حالمة ، ومن خلال هذه الحالة يعبر عن أحاسيسه متفقا مع المدرسة الرومانسية من جهة ومتأثرا بالشعر العربي القديم من جهة ثانية ، وبهذا استطاع ببراعة أن يجمع بين تأثره بالرومانسية وقيود الشعر التقليدي مع مراعاته في بعض الأحيان لمطابقة الوصف والموصوف لا سيما أن الرومانسية تستعين على إيضاح الصورة الشعرية بالطبيعة ، وبهذا ينشأ تشابها يربط بين صور الطبيعة وجوهر الأفكار والمشاعر الذاتية للشاعر أو حالته النفسية ٠ وهذا ما نراه واضحا جليا عندما ربط بين الليل وبكل ما يحمل من صور مختلفة لتصوير محاسن حبيبته مشيرا إلى شعوره الحب والهيام في غسق

الليل ، وبذلك نرى توحد الصورة بين جمال الطبيعة الرائعة وجمال الحبيبة مؤكدا على رومانسيته الحالمة ، يقول :

يا ابنة البدر وينبوع الشذى العطري
وملهمتي تسابيحي وآياتي من الشعر
وساحرتي بعينيها وروح كالسنا يسري
وبالبسمات من ثغر شهي ، بالهوى يغري
وباللفتات من جيد به ماء الصبا يجري
وبالوجنات فيها الضو ء يلهب لونها الخمري
وداجي الليل من شعر يهيم بها ولا تدري
.

ويعود هاجس الحرمان عند الشاعر الأمير ، يمني نفسه بالوصال ، يحركه الحب في فلك واسع رحب ، يعلله بالآمال ساعة ، ويعود به اليأس إلى ما عانى به ابن زيدون من حب "ولادة" ، حيث قال في قصيدته المشهورة :

غيظ العدا من تساقينا الهوى
فدعوا بأن نغص فقال الدهر : آمينا

أما الأمير فيعارضه بقصيدة يقول فيها:

يا ناعس الطرف قد فازت أعادينا
واستبشروا بمناهم في تجافينا
وكف عنا كؤوس الصفو ساكبها
وعاد بالشجو والأحزان يسقينا

خصام الأحبة يفرح الحساد دوما . والأعادي تزرع الشك في قلوب المحبين . ولكن ما العمل وهكذا هي حال العشاق ، يتخاصمون صباحا ، لتصفو قلوبهم مساء ، يساورهم الشك ليعودوا أكثر يقينا بصفاء نفوسهم .. فالخصام ليس إلا غيمات صيف عابرة تجول في حياة الأنقياء ممن أخلصوا الود لتعود بهم إلى شواطىء الأمان والوئام . فهو يؤكد هذه الحالة في قصيدته يا ناعس الطرف حيث يقول :

انا وإياكم نجمان في فلك
يديره الحب في آفاق ماضينا
مهما اختصمنا فإن الشوق يجمعنا
أو افترقنا فإن الحب يدنينا

هي المرأة .. للمرة الألف ، أحبها ، وكان وفيا كشيمة كل كريم . منحها الحب برقة الحس ونبل العاطفة . .. ولكن كما نوهت آنفا ، كان هائما في بحر من الحرمان ، متعطشا إلى الحب الحقيقي ، حبا لا زيف فيه ولا خداع .. فهو يشكو خيانتها بعد أن رواها كما تروى الوردة العطشى لا بالماء ، بل بماء العين :

هي وردة ظمأى وقد رويتها
إذا قل عنها الغيث ماء نواظري
أيقظتها ، بل صغتها في قالب
من نور آمالي وزين مشاعري
ومنحتها قلبا - على أترابها
قد عز - يرعاها بحب طاهر

تعقيب وخاتمة :

ويحضرني سؤال تصعب الإجابة عليه ، هل المرأة في الحقيقة جبلت على الخيانة والغدر كما يصورها ؟ وأنه يحلو لها التلاعب بعواطف الرجل ومشاعره حتى إذا ما ركنت إلى صدق مشاعره ، أظهرت له زيف عواطفها ؟ ..

ذلك سؤال لا يخلو من خطورة ، والأفضل أن أرى للمسالة جانبا آخر .. لعلي أرى أن الأمير الشاعر اعتاد أن يجد حوله النساء راغبات طائعات طامعات ، وهذا ينطبق على كثير من الرجال أو النساء ممن أوتوا حظا كبيرا من الثروة أو الجاه او الشباب ، فكيف وقد اجتمعوا في شخص رجل واحد .. ؟!!

هل من الغريب في هذه الحالة أن يتوهم إقبال الناس عليه ، والنساء بخاصة - حبا ..؟ ناسيا أنه أمير ثري ذو سلطان ونفوذ ، والناس

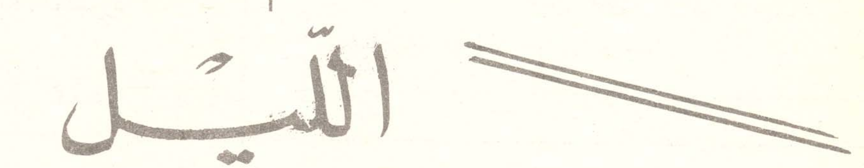
عامة وليس فقط النساء ، تسعى نحو المال والسلطان ، وتحابي من يملكهما ، وأعتقد وهذا رأي شخصي ، أنه ككل رجل يعيش في مجتمع محافظ لايبيح اختلاط النساء بالرجال ، يرسم صورة في أحلامه للمرأة التي تصبو إليها نفسه بشكل عام ٠٠ تلك الصورة من صنعه هو ٠ حتى إذا ما التقى بامرأة أعجبته لأمر ما ، أطلق عليها كل تصوراته وأحلامه ، وأرادها نموذجا حيا لتمثال يعيش في ذاكرته فقط ٠٠

لكن الواقع عنيد كما نعلم ، وهذه المرأة قد لا تكون مطابقة لتصوراته وأوهامه وأحلامه وتطلعاته ، فتبدأ الفجوة ، وتتسع ، كلما اتسعت دائرة معرفته بها ومحاولة المطابقة حتى تصبح مختلفة تماما ٠٠ فيخيب أمله بها ٠٠ وهذا قد يحدث حتى للنساء حين يرسمن صورة لفارس أحلامهن ويردن من الخاطب أو الزوج أن يكون على هذه الصورة ٠٠

والواقع ، أن الشاعر الأمير في هذه الحالة، لم يحب امرأة معينة لمواصفات خاصة وجدها بها بل هو خلق مواصفات معينة في ذهنه وأراد لامرأة ما أن تتطابق مع هذه الصورة ٠٠ وعندما لم يحدث التطابق المنشود شعر بالخيبة والعقوق مؤكدا ذلك بقوله :

لم أدر حين سقيتها ورعيتها
أني سأجزى بالعقوق السافر

وداد قباني - دمشق



الليل

الليل مسود الجبين
والأغنيات على الصليب
مصلوبة الأوصال
في زمن خرافي خؤون
الأغنيات قتيلة ٠٠
وأنا بلا نغم قتيل
أوتار قيثار الحياة
تقطعت ٠٠ قبل الأصيل
وانهار لحن وانتهى
في غيهب الليل الطويل
وبدا اليراع يخط
أشعاري على جذع النخيل
يا ليل ٠٠ ليل المتعبين
كيف انسللت لأعيني
كيف سحقت الضوء
بالديجور ٠٠
ثم سحقتني
أوقف سوادك
وانجل ٠٠ وامض
فضوئي ضمني ٠٠

وليد مكتبي

ندرة اليازجي

في كتابه (رسائل في مبادئ الحياة)

بقلم: نبيل حسن

إن كتاب " رسائل في مبادىء الحياة " لا ينتمي كما يمكن أن يدل عليه العنوان إلى أدب المراسلة ، وهو ليس مجموعة من الخواطر والآراء المتفرقة ، ولا كتابا في علم الأخلاق والتربية، إن الاستاذ ندرة اليازجي ، من خلال هذا الكتاب يتجاوز الأدب بذاتيته والعلوم بموضوعيتها المزعومة ليقدم لنا خبرة إنسانية بأبعادها الأخلاقية والفلسفية والروحية هي عصارة حكمته التي امتص رحيقها من مصادرها الأصيلة . والحق ، أني ما إن انتهيت من هذا الكتاب حتى أيقنت أن الأستاذ اليازجي قد حول قلبه عبر سطور هذا الكتاب كنبي جبران إلى شجرة كثيرة الأثمار فأخذ يقطف ويعطي ساعيا كلمة فكلمة ، إلى وضع المحبة موضع التطبيق الفعلي .

ولا بد من أن أشير هنا إلى أن رسائل الأستاذ اليازجي لا تحمل عنوانا ولا تحمل تاريخا، لقد حررها في علاقتها بظرفي الزمان والمكان ، كما أن الصديق الذي يراسله الأستاذ اليازجي ليس إلا الإنسان .. الإنسان الذي يتجاوز الجنس أو الطبقة أو الوطن أو العقيدة .

وما السبب في ولادة هذا الكتاب إلا شعور الأستاذ اليازجي بدافع قوي يحثه على الخوض في المواضيع التي تشغل بال كل إنسان ، ولكنه لا يطرح معالجتها على هيئة قانون أو شريعة فهو يعتقد أن في ذلك إثارة للجانب السلبي في الموضوع ، إنه يدعو إلى إعادة النظر في وضع الإنسان ، والتأمل في مصيره لكي ينعتق من الاشراط والنهي والروع ، ويتبع شريعته الداخلية أي تنشيط الطاقة الفاعلة والموجبة في داخل كل منا ..

ويقوم الأستاذ اليازجي بمعالجة الاشكاليات المطروحة انطلاقا من العديد من المفردات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة وبالنفس الإنسانية ، وهو إذ يعرب عن الصعوبة التي واجهته في تعريف الحقائق المتصلة بالكلمات ص ٥٢ فقد عرف كيف يوظف اللغة وعلم الدلالات لإيضاح الكثير من الأفكار والمفاهيم ، يفرق بين الصعوبة والمصيبة ، الوجود والوجوب ، السعادة واللذة ، الرفعة والكبرياء، الشخصية والفردية ، الدافع والرغبة ، المعيشة والحياة ، الحب والمحبة ، المحاكمة والحكمة ..

وتتسم مقاربة الأستاذ اليازجي للمواضيع المطروحة بالسرانية أي العمق . والكتاب ، ككل كتب الأستاذ اليازجي ، يقرأ على عدة مستويات والمصادر التي يستقي منها الأستاذ اليازجي مصادره هي مصادر الحكمة القديمة والعلوم الحديثة وخبرته الشخصية ونشير هنا إلى أن الأستاذ اليازجي كتب عن المسيحية واليهودية والفلسفات الشرقية وحاضر عن ابن عربي .. ونذكر من كتبه " المبدأ الكلي " الصادر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق والذي يتحدث عن التقاء العلوم الحديثة بالحكمة القديمة وهو يعرف كيف يوظف الموضوعية العلمية لتصبح ذات فعالية إنسانية ..

وهاأنذا ، أعرض خلاصة وجيزة لمضامين مفعول الكتاب :

فلسفة الصعوبة ، إن اعتبار المصاعب التي يواجهها الإنسان في حياته مصائب قد يدفعه إلى اعتبارها مصيبة واحدة هي الوجود . ويرفض الأستاذ

اليازجي هذا الموقف ويدعو صاحبه في رسالته من الصعوبة إلى اعتبار الحياة صعوبة يمكن الانتصار عليها من خلال الوعي والإدراك ودراسة قوانينها ، أما المصيبة فهي عدم التخلص من الصعوبة . لقد استطاع العقل من خلاله تدرج الصعوبة تجميع القوانين في منظومة متماسكة ، ومتصلة لتستفيد الإنسانية من خبرة الأجيال السابقة في تجاوز الصعوبات التي تعترضها في مسيرتها ، ولا بد لنا من التمييز مع الأستاذ اليازجي بين الصعوبات الخارجية المتمثلة بالبراكين والزلازل والفيضانات والتي يستفيد منها الإنسان على نحو نسبي (الطمي - المياه - والحمم الغنية بالمعادن) والصعوبات الداخلية كالكراهية والاستغلال والكبرياء والتي لا تعرف حدا للتهديم والشر . لذا ، فالإنسان مطالب بالتحكم بصعوباته الداخلية قبل التحكم بالصعوبات الخارجية .. ويقوله الأستاذ اليازجي : تنتهي الصعوبات الخارجية ماأن تنتهي الصعوبات الداخلية .

فلسفة الصداقة : يتساءل الأستاذ اليازجي عن سبب تحول العلاقات العامة بين الناس إلى علاقات عداء في كثير من الأحيان ، وهو لا يوافق على القول بوجود صداقة كاذبة ، وصداقة حقيقية لأن الصداقة لا يمكن أن تكون كاذبة ، وبالتالي فلا بد في تأمل العلاقة القائمة بين الناس وطبيعتها بعيداً عن الانفعال ، وهذا ما قاد الأستاذ اليازجي إلى تبني مجموعة من المبادىء يرى أن الصداقة تقوم عليها :

١- قول الحق .
٢- التحمل والتسامح
٣- المحبة والتضحية .
٤- صداقة جميع الناس
٥- صداقة النفس . فإذا كنت تسعى لبناء علاقات سليمة عليك قول الحق ، بألطف طريقة ممكنة ، وتجنب قول الحقائق غير المفيدة التي لا تمت للإنسان بصلة كما يجب قول الحق عند الضرورة لا التستر عليه .. أما التحمل والتسامح والتجاوز والاحترام فتحمل بمضامينها معنى واحدا ويميز الأستاذ اليازجي بين التحمل والصبر لأن الصبر يشكل قبولا ظاهرا ورفضاً داخلياً ، أما التحمل فهو موقف عقلي منفتح ومتفهم . والتسامح هو تجاوز الخطأ الناتج عن تصرفات الآخر وهو حصيلة فهم واف للذات والآخر .

وموقف الأستاذ اليازجي في رسالته هذه عند معاني الحب والمحبة فهو يعتبر الحب عاطفة انفعالية قد تتحول في وقت ما إلى كراهية تقوم على الرغبة والشهوة ، أما المحبة فهي لا تخضع للانفعال ولا تتحول إلى كراهية وهي تشتمل على التحمل والتسامح والاحترام ..

ويتساءل الأستاذ اليازجي عن معنى صداقة الآخرين إذا كان الإنسان عدو نفسه .. إن صداقة النفس تتطلب الابتعاد عن الأنانية والظلم والاستغلال .. وفيما يتعلق بصداقة جميع الناس يدعو المؤلف إلى الانفتاح العقلي والقلبي .

السعادة واللذة : يعتبر الأستاذ في رسالته هذه أن اللذة يتلوها دائما شعور بالخيبة والالم السلبي وذلك لأن اللذة مؤقتة وآنية واللهاث المستمر وراء لحظات اللذة دون رضى ودون اكتفاء يجعلها منهكة ومدمرة .. ويميز بين الألم السلبي والألم الايجابي فالألم السلبي يتلو اللذة عادة لأنها انفعال وانحراف عن الواقع أو العاطفة السليمة وهو ليس الا الإحساس بالضيق والتعاسة واليأس والاشمئزاز أما الألم الإيجابي فتضحية وتسامح ومحبة وسمو.. وعلى خلاف الألم السلبي فالألم الإيجابي ينتهي بالراحة والطمأنينة .. ولا بد لنا أن نفرق أيضا بين الفراغ النفسي الطاغي عند أصحاب اللذة وامتلاء الشخصية الإنسانية بأمور إنسانية عظيمة تضفي مزيدا من المعنى للحياة والوجود .. يضعنا اليازجي أمام اختيارين :

إما اعتبار الإنسان كائنا منفصلاً عن الوجود الكلي أو متصلا بالوجود ا لكوني ، الاختيار الأول يغرق الإنسان في التفاهة والعدمية والعبثية ويدفعه إلى مزيد من الأنانية والتمركز حول الذات ، أما اتصاله بالكون فيشير إلى عظمة كلية الوجود مملوءة بالمعنى والقيمة بل بالقيم ..

الترفع : تعتبر الكبرياء انفعالا يضخمه الخيال وغالبا تستعمل تغطية عقدة نقص أو لتضخيم بعض الأوهام التي قد يعتبر الفرد أنه يتمتع بها مثل المال والجاه ، والذكاء والسلطة . وينضوي الاستغلال والتمايز الطبقي والعرقي تحت مفهوم الكبرياء .. ويوضح اليازجي التناقض الكبير بين الترفع أي الرفعة ، والكبرياء .. فإذا كانت الكبرياء تتجه من الإنسان إلى الإنسان وتقلص القيمة الإنسانية فإن الترفع لا يقلل من القيمة الإنسانية وذلك لأن الترفع فعل يقوم على تقدير القيمة الإنسانية ويتمثل في مظهرين أساسيين : محبة الآخر والترفع عن أعماله والقدرة على الاستمرار في مد اليد إلى الآخرين ، فكيف ولماذا يكون الإنسان كاذباً أو متكبراً وظالماً وهو صادق ومتواضع وفي جوهره أن التجاوز يتم بالركون إلى الجوهر الإنساني دون الارتكاس الانفعالي أمام زلات وأخطاء الآخرين .

ويضرب الأستاذ اليازجي مثالين هامين عن الترفع والرفعة هما المهاتماغاندي والسيد المسيح ، فمن خلال تواضعه وترفعه حرر غاندي الملايين من المنبوذين ، إن ترفعه عن كبرياء المتغطرسين ومحبته مكّناه من رفع الظلم عن المنبوذين ، وكذلك السيد المسيح أحب العشارين والخطاة ولكنه ترفع عن أعمالهم وخطاياهم التي استغلها الغريسيون ليقيدوهم بها . وقد ترفع أيضا عن كبرياء الفريسيين فمدّ اليد للعشارين والخطاة ليرفع من مستواهم .

المحاكمة الشخصية :

يؤمن الأستاذ اليازجي بدور العقل وقدرته على إجراء محاكمة عادلة . وهو يقف إلى جانب ديكارت الذي يقول بأن العقل يستطيع أن يحقق نتائج صحيحة بشرط عدم الخضوع للانفعال . ويفرق في هذه الرسالة بين الدافع والرغبة ومع علماء نفس الأعماق يعرف الدافع بأنه طاقة حيوية تفعل في الكيان من أجل تحقيق غاية . أما الرغبة فهي انحراف الدافع عن غايته بحيث لا يتساوق مع العقل ، فشهوة المجد هي انحراف دافع المجد كما أن دافع الجنس قد يتحول إلى شهوى الجنس .. ولا يوافق الأستاذ اليازجي مع علماء نفس السلوك على أن الخلل في تكامل الإنسان سببه عدم التوازن بين العقل والجسد ، فهو يؤيد رأي علماء نفس التكامل (لكارل غ يونغ) الذين يرون أن الخلل كامن في عدم التوازن بين العقل والنفس حيث النفس هي القواعد التربوية التي يحصل عليها الإنسان ص (٧٣) وفي نهاية هذه الرسالة جدول يبين الفروق بين الشخصية والفردية ، فالشخصية تخلو من عقدتي النقص والعظمة في حين تخضع لهما الفردية ، و الشخصية تسعى إلى السعادة والغبطة وتنسجم مع وجودها الأرضي ، وتسعى للحقائق المادية والروحية ، أما الفردية فتسعى إلى اللذة وتتمرد على وجودها الأرضي . إن الفردية تسعى إلى تحقيق المعيشة أما الشخصية فتسعى إلى تحقيق الحياة .

الزواج : يريد الأستاذ اليازجي مناقشة قضية الزواج بعيداً عن التقاليد والأعراف الاجتماعية ، فهو يريد مقاربة العلاقة من وجهة نظر مثالية وهو يرى في ثنائية الرجل والمرأة ثنائية ظاهرية ووحدة باطنية . ويعد الدافع الجنسي دافعا سليما إذا اقترن المستوى البيولوجي مع المستوى

النفسي - الاجتماعي والمستوى المثالي ، ففي اتحاد الرجل والمرأة سعي لتحقيق الإنسان الأول الذي انقسم إلى رجل وامرأة ·

ويتساءل الأستاذ اليازجي : كيف تكون العلاقة بين الرجل والمرأة صميمية ؟ ويجيب بأنها يجب أن تقوم على ثلاث مستويات في الحد الأعلى وعلى اثنين في حدها الأدنى ، وهذه المستويات هي المستوى البيولوجي والمستوى النفسي - الاجتماعي والمستوى المثالي - المستوى البيولوجي يعبر عنه بالدافع الجنسي ، وهي سعي الرجل و المرأة إلى استعادة الوحدة المفقودة وهو بالتالي تعبير عن حقيقة جوهرية كامنة في القلب الإنساني ولكن هذا الدافع لا يحقق غايته إلا إذا اقترن بتحقيق الدافع على المستوى النفسي والاجتماعي · أما أهمية المستوى النفسي والاجتماعي فتنبع من كون المجتمع هو الحقل الذي يحقق فيه الإنسان إنسانيته ، أما من يحاول تأكيد أولوية الدافع البيولوجي فيمكن لنا أن نتبين خطأ اعتقاده ما أن تطفو الاختلافات أو ينشأ خلاف أو جفاء بين الرجل والمرأة ·· وهذا ما يدفع الأستاذ اليازجي إلى أن يتبنى مع العالم " بول شوشار " وعلماء نفس الأعماق وعلم النفس التكاملي مصطلح " الجنس النفسي " تعبيراً عن أهمية الدوافع النفسية في اتحاد الرجل والمرأة · وعلى مستوى أعلى ، لا بد من اعتبار العلاقة الزوجية علاقة سامية ونبيلة كون الإنسان هو نتاج هذه العلاقة التي هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها تجسد الروح في المادة ، ويطلق الأستاذ اليازجي على هذا المستوى مصطلح الجنس الروحي ساعيا لرفع الواقع إلى المثال والمادة إلى الروح (روحنتها) في نطاق دافع واحد يجمع المادة والنفس والروح

اليأس : تبدأ هذه الرسالة بالتمييز بين العاطفة والانفعال ، فالعاطفة التي تطغى على العواطف الأخرى انفعال لأنها فاقت حدها وانحرفت عن حقيقتها ، والعاطفة التي ترتبط بمصلحة فردية هي أيضا انفعال · هكذا نميز بين الحزن (عاطفة) واليأس والتشاؤم حيث اليأس انفعال · وينقسم اليأس إلى ثلاثة مستويات : (اليأس المؤقت · ٢ - اليأس الناتج عن أوضاع اقتصادية· ٣ - اليأس الفكري أو المطلق ·

اليأس المؤقت : يمكن تجاوزه بسهولة ذلك أن اللحظة الآنية لا تشكل كلية الوجود ، كما يجب على الإنسان أن يستفيد منه خبرة وحكمة ووعياً شمولياً ، أما اليأس الاجتماعي الناجم عن الانتماء الطبقي أو الوضع الاقتصادي أو الظلم السياسي أو الاضطهاد العقائدي فتجاوزه يتطلب مجهوداً اكبر لأنه يتطلب إصلاحا اجتماعيا شاملاً وتعديلاً في النظرة إلى الإنسان · أما اليأس الفكري الذي يعبر عنه من خلال مفاهيم العبث والعدم والاغتراب فيرد إلى غياب قاعدة الوعي الانساني الكوني · قد يتمرد الإنسان على الكون وينفصل عنه ولكن ذلك لن يؤدي إلا إلى مزيد من القلق الفضيل ، أما العمل على فهم وتحقيق الانسجام بين الكون والإنسان فيؤدي إلى تضاؤل مفاهيم العبث واللاجدوى وينتهي اليأس ص(١٠٧)

الحرية والوعي : سبق للأستاذ اليازجي أن بحث في موضوع الحرية والوعي في مؤلفات أخرى منها " بحوث فلسفية " و " المبدأ الكلي " وهو يضمن مفهوم الحرية كل القيم الأخلاقية كالخير والجمال ويقسم الحرية إلى أربع مستويات " الحرية الاجتماعية " الحرية النفسية - حرية الإرادة - الحرية الفلسفية المتصلة بالوعي ·

تنحصر الحرية التي يطالب بها الفرد في المجتمع عادة في نطاق اشراطات التقاليد والمفاهيم الزائفة حيث الحرية الاقتصادية تختلف عن الحرية السياسية وحيث هاتان الحريتان تختلفان عن الحرية الأخلاقية ·· في حين أن الإنسان كيان

واحد عليه ان يطبق جوهره في كل من هذه النطقات على نحو واحد . وينطبق الأمر ذاته على الحرية الإنسانية حين تبدأ النفس ، منذ الطفولة ، بالخضوع للإشراطات التربوية . فكيف للمطبوع على الكبرياء أو الاستغلال أو التعصب أو الأنانية أن يطبق حريته ؟.. وتأتي حرية الإرادة وهي وجه آخر لحرية الفكر لأن الإرادة تحول الفكر إلى عمل وسلوك .. وبالتالي فهي تقتضي تفكيراً سليماً لا يخضع للرغبات والانفعالات . أما الحرية الفلسفية فهي الوعي الذي يساعدني على الانعتاق من كل قيد وأشراط .

الطموح : تأمل الأستاذ اليازجي في الجهد الذي يبذله الناس وسعيهم الدائم لتحقيق مستوى معيشي أو اجتماعي أفضل قاده إلى طرح مفهومي الطموح والطمع .. فالطمع انفعال يتحقق من خلال الاستزادة من الأمور المادية والمظاهر الكاذبة دون اكتفاء .. أما الطموح فهو سمو بدوافع الإنسان لتحقيق الصورة المثالية لوجوده مدركا الغاية من هذا الوجود واتصاله بكل مافي الكون ، ويفرق الأستاذ اليازجي بين الطامعين في التاريخ والطامحين في التاريخ ، الطامعون في التاريخ هم أصحاب العقائد التي تفرض نفسها على بعضهم وتسعى لالغاء الآخرين ، هم فئة من الحكام والرجال المستغلين الذين سيروا المجتمعات بفرض سلطتهم وطغيان أموالهم لتحقيق رغباتهم وشهواتهم سالكين طريق العنف والقسوة ، ومؤججين الصراعات المذهبية والطبقية والسياسية أما الطامحون فهم رجال العلم والحكمة الذين دعوا إلى محبة الإنسان لأخيه الإنسان ونبذ الفروقات العرقية والعقائدية والطبقية من أجل دفع الإنسانية إلى الأمام ، وتحقيق القيم الإنسانية النبيلة ، ويقول الأستاذ اليازجي بعبارة مكثفة ومقتضبة : " إذا كان الطامعون ناجحين فإن الطامحين هم العظماء "..

فلسفة الوطنية : يتجاوز الأستاذ اليازجي في تعريفه للوطنية اللغة والعادات والتقاليد والأعراف ويركز على البعد العمودي أي علاقة الإنسان بالأرض ، فالوطنية هي محبة الوطن والوطن هو الأرض التي يعيش عليها شعب ما وهو يرى أن هذا المفهوم بعيد عن أن يسمح باستعلاء شعب على آخر أو قومية على أخرى ، في الوطن الواحد يتعاون الجميع من أجل العيش المشترك كما تتعاون الأوطان في سبيل تحقيق عالمية الإنسان ويشبه الأستاذ اليازجي كوكب الأرض بالجسد الواحد فهو وحدة عضوية تشكل الأوطان المختلفة أعضاءه حيث يقوم كل منها بوظيفته في نطاق وحدة الفكر والمعرفة والمصير الإنساني .

الخلود : يعتبر الأستاذ اليازجي أن الخلود فكرة جوهرية في الإنسان ، فهو أي الإنسان يضفي المعنى على وجوده من خلال الديمومة والاستمرار ضمن مستويات الوجود المتحولة في صورها وتعيناتها ص ١٩٨ ونقرأ الخلود في هذه الرسالة من خلال أربعة مستويات : المستوى المادي ، المستوى الاجتماعي والفكري ، المستوى العلمي ، المستوى الروحي .

أما تحول الدقائق الأولية اللامتمايزة إلى أجناس وأنواع متعددة يعني أنها كانت تتضمن في ذاتها كل الخصائص العقلية ، والنفسية وفق مستوياتها كما أن انبثاق الحياة من هذه الدقائق يدلّ على اتصافها بالحياة والوعي ، وهذا يذكرنا بحكمة يونانية قديمة تقول بأن التحول من شيء إلى شيء آخر لا يتم إلا إذا تضمن الشيء الأول صفات المتغير إليه (انكسارغوراس) وتياردر شاردان الذي يقول : كمال الأشياء قائم في بداياتها ، وان تأمل الأستاذ اليازجي موت الجسد وعودة العناصر إلى ماكانت عليه من تجزئة وحالة أولية دفعه للتعبير عن الاتصالية والاستمرارية

الكونية بقوله من الحياة إلى الحياة مؤكدا وجود الخلود على المستوى المادي . ويشير الأستاذ اليازجي إلى تطور هابط بدأ بانبثاق طاقة انطوت على ذاتها وبلغت أقصى تكثف لها في المادة ثم أخذت هذه الطاقة تسعى للافصاح عن نفسها في عملية تطورية أدت إلى ظهور الوعي ويذكر الأستاذ اليازجي بخلود أفكار العلماء والحكماء واستمرارها بالوجود حتى بعد موتهم وتحلل جسدهم ، أما على المستوى الروحي فيميز الأستاذ اليازجي بين الروح كتفاعلية كونية تقبل التحول إلى كل شيء والجسم الروحي وهو الطاقة الكونية المركزة في نقطة أو بؤرة ، والخلية الروحية إذ تلتقي الخلية المادية تعطي الإنسان حياته ووعيه ، ولكن الجسم الروحي يحافظ على شكله وخبرته حتى بعد تحلل الجسم المادي .

العودة إلى التجسد : يؤمن الأستاذ اليازجي بأن العودة مبدأ كوني يتحقق في جميع المستويات ،

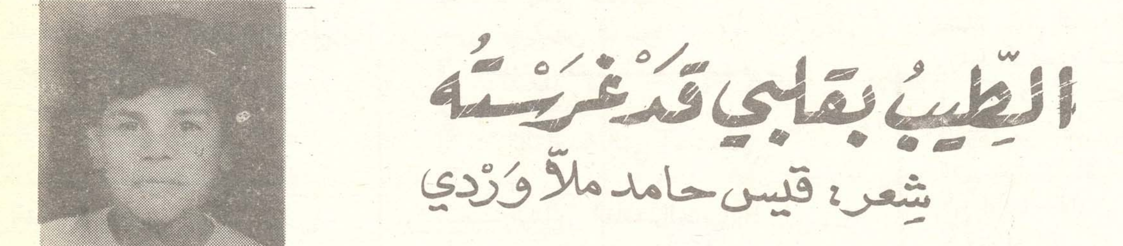
فالنجوم تموت وتعود فتبعث من جديد وكذلك الإنسان يموت ويبعث لأنه لا يستطيع أن يحقق وجوده في دورة حياتية واحدة . ويقرب الأستاذ اليازجي هذا المفهوم إلى الأذهان فيعطي مثال شخص ارتكب الجرائم في وطنه وانتقل إلى بلد آخر حيث قبضت عليه المحكمة وخيرته بين العودة إلى وطنه ومحاولة تصحيح أخطائه وبين بقائه في غرفة مظلمة يخضع فيها لعذاب ضميره ، ويرفض الأستاذ اليازجي فكرة إله شخصي يعاقب على طريقة البشر ويرفض جهنم المكان لان جهنم هي غياب الوعي والبقاء في المادة .. ويتساءل الإنسان لماذا ولد في بلد دون آخر ، وفي أسرة دون أخرى أو في فئة أو طبقة أو عقيدة معينة وتفسر الرسالة هذه التساؤلات من خلال مبدأ العودة ويدعو اليازجي إلى التعديل لا إلى التغيير، لأن في التغيير عدم استقرار وخضوع لمركزية الأنا وهو يكسب الإنسان وجوهاً عديدة ، ويؤدي به إلى الانقسام على ذاته . أما التعديل فقدرة داخلية ديناميكية تحرر الإنسان وتدفع به على طريق الوعي والخلاص .

الصوفيه حكمة حياة : يقسم الأستاذ اليازجي العقل في هذه الرسالة إلى ثلاثة مستويات يهتم الأول بالمستوى المادي والثاني يدرس هذا العالم ويجرده (المنطق الرياضي ..) والعقل الثالث الأعلى) يستغرق في الحقيقة السامية . وهو يتبنى مصطلح الصوفية العقلية ويؤكد أن الصوفية ليست الزهد والبعد عن المجتمع بل إن المجتمع هو النطاق الصالح الوحيد لممارسة الفضيلة ، والحقل الوحيد لزرع بذور الإنسانية ، والوسط الوحيد لتحقيق الكيان الإنساني والروح السامية .. .." ص ٢٥٦ .وعن الزهد يقول : هو الترفع عن الرغبات والشهوات ، فالحكمة قوة تساعد الإنسان على التخلص من الرغبات والشهوات المقيدة والمشرطة والانسحاب من المجتمع فعل سلبي لا يتفق مع سرية الحكمة والصوفية ، ويركز الأستاذ اليازجي في هذه الرسالة على تجاوز التفاؤل والتشاؤم إلى الأمل وتجاوز الصبر إلى التحمل وتجاوز الكراهية إلى المحبة الشاملة وتقديس الحياة حتى تستحق أن تعاش فيتحقق الوجود من خلالها ، وهو يقول : " يقع الصوفي من العالم موقع القلب المنفتح ، والعقل المنفتح ، والمدبر المسؤول " ص ٢٧٣ وهذا يعني أن الحكيم مسؤول عن نقل معرفته إلى الآخرين ، ومد اليد إليهم لأن الإنسان لا يخلص إلا بخلاص الآخرين " ص ٢٧٤ ..

خاتمة : إذا كان جبران قد اختار أن يتحدث إلى سكان أورفليس بلسان نبيه فإن الأستاذ اليازجي اختار أن يتحدث مباشرة إلى الجميع ، رسائله

مليئة بالافكار الانسانية السامية ، والقائمة على شمولية في طرح المواضيع وعمق في العالجة دافعه في ذلك محبة للناس الذين يعتبرهم أصدقاءه ص ٣٧ . وهو يدعو في كتابه إلى حوار مبدع مجرد من الجدل ص ٦٥ حتى يتمكن القارىء من طرح التساؤلات والأفكار وتوجيه النقد ومتابعة البحث ، هكذا يصبح الإنسان (الصديق) أهلاً للسمو بإنسانيته من خلال القواعد والمبادىء المبينة في هذه الرسائل وفي كل كتب الأستاذ اليازجي الأخرى كلها مثل " دراسات في المثالية الإنسانية" وتأملات في الحياة والإنسان " .. لقد اختار الأستاذ اليازجي أن يكون شاهداً للحق وهو كذلك يدعوك أن تكون شاهداً للحق لا للباطل ، فما رأيك أخي القارىء ..؟

نبيل محسن



١- كم من خليل صاحب عاشرته ... صاحبته أخيته أكبرته

٢- فرحت إن خيراً به لقد حدث ... حزنت إما حزناً وجدته

٣- بكل لطف بارئ عرفته ... وصفته به حسن الكلمة

٤- من ذهني المشغول لا يغيب مل ... بكل أحوالي لقد ذكرته

٥- سائلاً عنه وعن أخباره ... إن غاب في نفسي لقد أحضرته

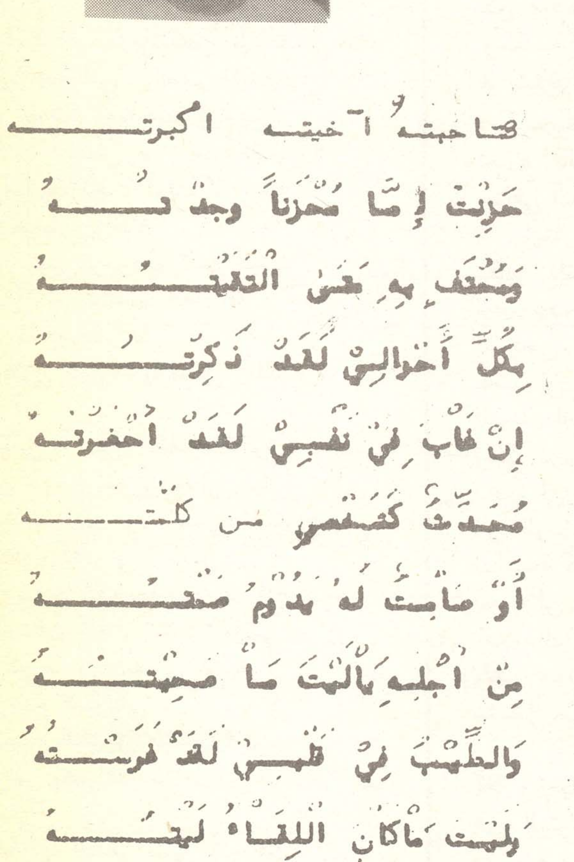
٦- [illegible] عني دائماً [illegible] ... [illegible] من كلمته

٧- مصاحبه لنفسه مكلم ... أو صابت له يدوم صحته

٨- أضعت أوقاتي على حياته ... من أجله بالمت ما صحبته

٩- الفرصة كان هكذا رده ... والطيب في قلبي لقد غرسته

١٠- ليت الزمان ما فرقته به ... وليت ما كان اللقاء ليته



الحماس للشاعر الكبير لامارتين

ترجمة : سالم جبارة

هكذا ، عندما كان نسر الرعد
يرفع كاتيميد إلى السموات ،
كان الطفل يتمسك بالأرض ،
ويصارع طائر الآلهة ،
ولكن النسر كان يشد جانبيه الوجلين
بين براثنه الرشيقة
وينزعه من الحقول الأبوية
ويصم أذنيه للصوت المتوسل ،
ويرميه ، وهو لايزال يرتجف
تحت أقدام الخالدين

وهكذا ، عندماتنقض على نفسي ،
أيها الحماس : النسر المنتصر :
في صخب جناحيك الناريين
كنت أرتعش من رعب مقدس
وأتخبط تحت قوتك ،
وأهرب ، وأخاف ،
أن يفني وجودك قلبي المائت ،
مثل نار تشعلها العاصفة ،
لا تنطفىء أبدا
وتفنى المحرقة والهيكل والمذبح ،

ولكن ، عند انطلاق الفكرة
إن غريزة المعاني تقاوم عبثا ،
وتحت الاله ، إن نفسي المظلومة
تقفز وتثب في أعماقي
وتسري العاصفة بين عروقي :
فأندهش للنار التي تحرقني ،
وأثيرها في ضغطي عليها ،
وحمم عبقريتي
تطفح البسيل منسجمة
وتفر وهي تفنيني

فيا ربة الشعر تأملي ضحيتك
فلم تعد هي تلك الجبهة الملهمة ،
ولا تلك النظرة الساميه
التي كانت تطلق البرق المقدس :
فتحت تأثيرك الملتهم
يكاد لا يبقى لشباب
سوى بقية من الوجود
لأن جبهتي التي طمسها الشحوب.
لم تعد تحتفظ
إلا بأثر العاصفة التي اجتاحتني

سعيد الشاعر الفاقد الحس !!
لأن عوده غير غارق بالبكاء ،
وحماسه الهادىء
لا يثيره غضبه المأساوي
ومن عروقه الخصبة النقيه
تجري بالعدد والوزن ،
سواقي الحليب والعسل ،
و " أيكاروس " ذلك الاله الرعديد
الذي خانه جناح " بندار "
لا يسقط أبدا من السماء
أما نحن ، فلكي نحمس النفوس
يجب ان نحرق ونسلب
للسماء الحسودة نيرانها الثلاث
ولكي نرسم كل شيء
يجب أن نتحسس كل شيء
لأن قلوبنا المواقد الملتهبة بالنور
للطبيعة كلها
يجب ان تركز الأشعة ،
ومع ذلك يدينون حياتنا !
ولكن هذا المشعل الذي نحسد عليه
يشتعل من نيران أهوائنا

كلا ، لم يلد حضن ساكن أبدا
هذه الوثبات الالهية ،
ولم تخضع العالم لأناشيدنا
هذه الفوضى الجذابة
كلا ، كلا ،
فعندما كان (أبولون هوميروس)
كي يرمي الرض بسهامه
ينزل من قمم جبل (ايريكس)
محلقا فوق الشواطىء الجهنمية
ويغط أسلحته المشؤومة
في مياه نهر (ستيكس) الفائرة
فأنزلوا من الذرى المهيبة
التي تمتهنها الاندفاعات الجبانة
لأن الأنغام الالهية
لا تنطلق الا من عود نبيل
فقلب أبناء القيثارة
شبيه بالرخام الذي يئن
على ضريح الاله (ممنون) :
فلكي نوهبه الصوت والنفس
لا بد أن تلقي عليه عين النهار
شعاعا من نارها الخفيفة

ونريدني أيضا ، بتأجيج النيران
التي يغطيها الرماد ،
ان تتبخر بقية نفسي
في نغمات تضيع في الفضاء!
مع أن المجد حلم الظل ،
وقد طرح كثيرا من عدد الأيام
التي كان يجب أن يسحرها
وتريدني أن أضحي
النفس الأخير من حياتي
وأنا أريد الاحتفاظ به للحب

سالم جبارة



القاصة نجاح إبراهيم
بين لغة الشعر وشاعرية المعاني

بقلم : محمد منذر لطفي

" المجد في الكيس الأسود " مجموعة قصصية تمثل العنقود الأول في كرم القاصة الرومانسية " نجاح ابراهيم " وأعمالها الأدبية ، وقد صدرت في مائة صفحة من القطع الوسط خلال الربع الأخير من عام ١٩٩٢ عن دار مجلة الثقافة بدمشق، وضمت بين دفتيها أحد عشر قصة تنتسب في عملها إلى المدرسة الواقعية السحرية ، أما الإهداء فقد حظي به زوجها "علي" الذي احتضن بصمت نزفها وقلقها وغربتها ٠٠ وبقي مدى الاشراق صديقاً وحبيباً وملجأ للعذابات ٠٠ والذي ترحل تلقائيا - دروبها ومسافاتها إليه باستمرار حسبما جاء في كلمة الإهداء ٠

وقبل أن أدخل العالم الفني لقصص المجموعة وأتحدث عنه وعن أبعاده الجميلة الآسرة وأبجديته الفاتنة الساحرة لا بد لي من المرور قليلا بكل قصة واستعراضها والقاء بعض الحزم الضوئية المكثفة عليها ، لأعطي القارىء فكرة موجزة عن أجوائها ومناخاتها، وموضوعاتها وأبعادها ، ليعيش واقع تلك القصص حتى لكأنه يحس أو يرى ٠

(٢)

في القصة الأولى التي تحمل عنوان (من قال سأكتب) تحدثنا القاصة على لسان البطلة وبضمير المتكلم عن قصتها مع الشاعر الذي تعرفت إليه منذ عشر سنوات خلت عندما تفتحت أنوثتها على أول تجربة عاطفية تمر بها ، تجربة أدت إلى إعلان خطوبتهما ، والى نظم أحلى القصائد من قبل البطل في جمالاتها ، ولكنها تكتشف أنه أناني محب لذاته ، يريدها أن تبقى في بركة الظل وتقطع علاقتها بالكتابة نتيجة خشيته من تفوقها عليه ، في الوقت الذي تريد فيه الاستمرار في ممارسة هوايتها وتجربتها والظهور إلى النور نتيجة وثوقها من امكاناتها الإبداعية ، وهو ما أدى إلى انهيار كل شيء بينهما لأن البطل لم يدرك أن البطلة قبَّرة تعلمت أن تغني لوحدها ، وأنها كشجرة سنديان تشق الأرض والسماء والفضاء بعزيمة لتستمر في النمو، وهكذا عادت لعالمها الأثير ، في الوقت الذي عاد هو فيه من حيث أتى ٠

في القصة الثانية التي تحمل عنوان "أول ثلاثاء من شهر يناير " تقص لنا الكاتبة بضمير الغائب قصة حب فاشلة عاشتها البطلة مع العميد " فؤاد " معتمدة الوصف السردي وتداعي الأفكار والذكريات ، والمنولوج الداخلي أسلوباً لها، وبخاصة أثناء الحوارات التي كانت تجري بينها وبين خادمتها " سعده " والتي استطاعت أن توظفها بشكل جيد لخدمة القصة وإنجاحها ، تلك القصة التي تمثل حالة مأساوية لتجربة حب فاشلة ، تؤدي بالبطلة في نهاية المطاف إلى شيء

من الهذيان او ما يشبه الهذيان ٠

في القصة الثالثة التي تحمل عنوان "وطواها جنح السودان " تسوق لنا الكاتبة قصة حب فاشلة أيضاً ، ولكن الفشل هنا كان إيجابي النتائج على مستقبل بطلها " محمود " الطالب الجامعي الذي كان يدرس الطب ، والذي عاش تجربة حب مع زميلته السمراء " زينة " الطالبة السودانية التي تركته بعد خمس سنوات وعادت إلى بلادها حاملة معها شهادة تخرجها ، في الوقت الذي كاد فيه الفشل أن يعصف بمستقبله الدراسي ، ولكن تأثير القوى المعنوية المتمثلة بنصائح صديقه " عمار" بالإضافة إلى تصوره وجه أمه ، وحديثها لنساء القرية عن الطبيب الآتي قريبا ، وكذلك حديث والده العاجز للسيكاره عن مستقبل ابنه ، وشعور أخته بالعزة والفخار لقرب تخرج أخيها طبيبا وعودته ٠٠ كل هذه الأمور مجتمعت جعلت البطل ينتصر على ضعفه في نهاية المطاف ، ويلحق برفيقه عمار ليلتحق معه بالجامعة من أجل تحقيق حلم أسرته بأن يصبح طبيب القرية ذات يوم ٠

في القصة الرابعة ، التي تحمل عنوان جدف يا سيء الحظ " تطل علينا تجربة لحب ضبابي فاشل ، عاشه الموظف البسيط " محمد" مع ذكرياته الرومانسية في القرية عندما كان يمارس رياضة " الفولي فول " ويلقي كلمات ارتجالية اشبه بالشعر في نادٍ ثقافي رياضي هناك وكيف كان مدير النادي يشجعه ويتنبأ له بأن سيصبح شاعرا ذات يوم ، في الوقت الذي بقي فيه يحمل (أعراض الشعر) فقط ، وخيالاته المريضة في بعض الأحيان ٠

في القصة الخامسة التي تحمل عنوان الثمن تحدثنا القاصة عن بطلها الكاتب " سعيد" الذي استغرق في هوايته وانصرف إليها بكليته لدرجة نسيان واجباته الأسرية ، وبخاصة تجاه البطلة " الزوجة " التي تقف في لحظة ضعف قاب قوسين أو أدنى من الخيانة الزوجية عندما مرت بها أول نسمة استلطاف عابرة من رجل منعه المطر وإياها من الخروج إلى الشارع فوقفا تحت مدخل البناء ، وكيف عادت غضبى إلى المنزل لتعترف لزوجها بما كاد أن يحصل ، ولتبوخه على إهماله لها ٠٠ في الوقت الذي كان يكتب فيه قصة عن رجل غفل عن زوجته لدرجة النسيان ، مما دعاها إلى الوقوع في الخطأ أو في بعضه ٠٠ تماما كما حصل مع زوجته دلال

في القصة السادسة التي تحمل عنوان عويل باريس ، تحملنا القاصة معها إلى أجواء العاصمة الفرنسية التي اتخذ منها البطل مراد مكانا لعمله بعد أن تزوج فاطمة الفتاة الدمشقية الحلوة الطيبة إثر زيارته الأخيرة لدمشق ، وعاد بها إلى باريس على أساس أنه رجل أعمال كبير، وتكتشف البطلة في نهاية الأمر أنه إنسان تافه مقامر بعدما حاول أكثر من مرة أن يقدمها جارية لصديقه سعيد بك وأصحابه ، ولكن القدر يهيء لها فادي الشاب الطيب وأحد اولئك الأصحاب لينقذها بسيارته وبيته بعد آخر محاولة قام بها زوجها لبيعها لصديقه وتقديمها إليه وليمة جسدية ، وتجد فاطمة عند فادي الحنان والشباب لوقت قصير ، ثم تنتهي القصة بانتحار الزوج وعودتها إلى أحضان أمها في دمشق ٠

في القصة السابعة "طوق ياسمين ورقصة" يتعرف البطل سمير خلال حفلة حضرها وزوجته على سيدة راقصته فكانت سيدة لحظته ، حسبما برر فعلته لزوجته عندما عاتبته معقبة : فهل كنت أنا لا شيء إذن ٠٠؟ ولماذا لم يكن هناك سيد للحظتي ٠٠ ؟ ثم تخرجه من بيتها ومن حياتها ، وبعد فترة تجد في أحد الكتب طوق ياسمين كان قد أهداه إليها عند بداية حبهما ، وقد أرفقت معه بعض العبارات البوحية الشفافة ،

فتذكر الماضي والحاضر .. (لقد أحببتني وأنا زوجتك من خلال رقصة.. وها أنت تحبها هي الأخرى من خلال رقصة أيضا .. فيا لحبك الراقص) ومع ذلك فإنها تقبله من جديد .. وتصفح عنه بعد عودته إليها وهو يحمل طوق ياسمين جديد .

في القصة الثامنة (المجد في الكيس الأسود) والتي حملت المجموعة اسمها ، لما لها على ما يبدو - من رصيد واقعي وتأثير عميق في نفس القاصة المرهفة ، تحدثنا بطلتها القاصة غادة عن أجواء الكتابة والقصص والسرقات الأدبية وكيف ان مصطفى علوي القاص الفاشل سرق لها ثلاث قصص بطريقة محيرة .. منها قصة (ليل دامس عند قدميها) التي فازت بالجائزة الأولى ، وكيف حدث لغط وقتها في المركز الثقافي وفي المجتمع الأدبي في مدينة البطلة ، وكيف ذاب الثلج أخيرا فاكتشفت بطريق المصادفة وبواسطة رجل القمامة السر ، حيث كان زوجها " سامر" يرمي بعض مسودات قصصها في كيس القمامة الأسود بعد أن تنتهي من تبييضها ، من غير أن يمزق تلك المسودات ، وكيف كان مصطفى علوي يلتقطها مباشرة من رجل القمامة بعد أن يدفع له مكافأة مادية جيدة ، ثم ينشرها ، باسمه في الصحف والمجلات قبلها مدعيا ملكيتها لنفسه .

في القصة التاسعة كيف ذابت بيننا الحدود ، تحدثنا القاصة بلسان البطلة عن ذكريات زواجها من البطل بعد تعارفهما في مكتبة ما، وكيف وحدتهما آنئذ رغبة قراءتهما للكتاب في علم النفس ، ثم تبادلهما الرأي حول نظرية " التنوير " وكيف بدأت الاختلافات في وجهات النظر والآراء بعد سنتين من الزواج وأدت إلى الانفصال ، والى إدمان البطلة شرب الخمر ، ويعود إليها من جديد ليعيدها إلى بيت الزوجية ، ويحدث بينهما نقاش حول حالتها النفسية وحول آرائه ونظرياته التي يتبناها ، ولكن الانفصال النهائي يحدث أخيرا بناء على رغبتها .

في القصة العاشرة (ثوب الليلة الحمراء) تسلط لنا القاصة الكثير الكثير من الحزم الضوئية على زيف العصر وقشوره ومغرياته ، وكيف جعلت هذه الأشياء مجتمعة من سناء صديقة البطلة والشابة الرقيقة المهذبة الحساسة الطيبة اللطيفة الطاهرة قبل زواجها إنسانة أخرى تحمل عكس هذه المواصفات بعد زواجها من موظف ترك وظيفته الحكومية ليمارس التجارة ولينتقل بسناء أو " زهرة الزيزفون "كما كانت تسميها البطلة قبل الزواج لفرط رقتها وطهارتها - بعد سنة إلى حي يليق بأصحاب الملايين ، ثم كيف دعت سناء زميلتها سعاد بطلة القصة إلى حضور حفلة عيد زواجها ، وكيف اكتشفت سعاد أثناء تلك الحفلة المقنعة ، وبطريق المصادفة خيانة سناء لزوجها وانجابها طفلة من غيره ، وكيف وبختها على تغيرها وسقوطها نتيجة الترف وزيف العصر وكيف غادرت الحفلة وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة كبرت .. وكبرت حتى أبكتها ..

أما في القصة الحادية عشرة والأخيرة التي تحمل عنوان حكاية جسد متمرد " فقد راحت القاصة تحدثنا بلسان البطل " فريد " عن انتصار القيم في نهاية المطاف ، بالرغم من أمواج الإغراء التي قدمتها له زوجة صديقه مروان الذي كانت تجمعه به صداقة قوية منذ أيام الدراسة والشباب ، وكيف وجد مروان له شقة سكن مقابل شقته إثر التقائهما مجددا بعد فراق دام طويلا ، ويدعى فريد من قبل مروان وزوجته هدى لحفلة في منزلهما أقاماها بمناسبة ترفيعه الجديد في عمله ، ويغني فريد في تلك الحفلة ، وينشد بعض أشعاره بناء على رغبة هدى التي كانت تغريه ، - من خلال تصرفاتها - أثناء السهرات ولعب الورق سوية معها ومع زوجها منذ سكن بجوارهما ، وكان يتغافل عن ذلك ،

ولكنها في هذه الحفلة راحت تغريه أكثر فاكثر، وبشكل أقرب إلى الوضوح والتصريح منه إلى الإخفاء والتلميح ، حتى كاد الزوج أن يشعر ، ولكنه يغرق في عالمه فيسكر حتى الانطفاء ، ويحملانه معا إلى سريره ، ويهم فريد بالانصراف ، فتطلب هدى منه بإغراء فاضح البقاء لإكمال سهرتهما ، ثم تحيط رقبته بكلتا يديها ، ولكنه يغادر شقة صديقة بعد أن يصفع وجه تلك المرأة مثنى وثلاث ورباع ، وفي الصباح الباكر يحمل حقيبته ويغادر شقته إلى غير رجعة ٠

(٣)

ملاحظات عامة حول المجموعة :

ثمة ملاحظات حول المجموعة يدور بعضها في فلك السلب ، وهو متواضع ومحدود ، في الوقت الذي يدور فيه بعضها الآخر في فلك الإيجاب وهو متألق ومشهود سواء بالنسبة لفنية القصص أم بالنسبة لتسلسل أحداثها أم بالنسبة للغة والأسلوب ، ولأني أحترم هذه القاصة الجيدة وأتمنى لها الخير كله لذلك آثرت أن أشير إلى النقاط المضيئة والمعتمة على حد سواء لتتصف الدراسة بالموضوعية ، ولتكون الفائدة في نهاية المطاف أكبر وأوفر ، وإذا بدأت بالملاحظات السلبية فلأجل أن أجعل الملاحظات الإيجابية مسك الختام ٠

آ- الملاحظات السلبية :

١- كان هناك بعض الاستعمالات اللغوية الخاطئة لبعض المفردات والكلمات مثل (احتكرت شعره لأغرس فيه أصابعي وهو مسجى أمامي) والاستعمال الصحيح هو (مستلق) لأن كلمة (مسجى) لا تستعمل إلا للأموات ، وكلمة حكايا والصحيح حكايات وغيرها بالإضافة إلى استعمال مفردات أجنبية بدلاً من استعمال مفردات عربية حتى في العنوان مثل (أول ثلاثاء من شهر يناير) والأفضل أن يكون (أول ثلاثاء من شهر كانون الثاني (على سبيل المثال ، وفي النص مثل (أقوال المستر إيكهارت) والأفضل أن يكون (السيد) على سبيل المثال أيضا ٠

٢- التشاؤم الذي كان يوشح معظم قصص المجموعة بأكثر من وشاح ، بالرغم من أنه من النوع الواقعي إلى حد ما ، وله ما يبرزه في بعض الأحيان ، ولكن طغيانه الواضح يعكس نوعا من حياة ، أو حيوات ٠٠ تعيش في ذاكرة القاصة أو في عقلها الباطن ، هذا التشاؤم الذي لا أحد يعرف سببه أو مصدره بدقة إلا صاحبه حسبما يقول علماء النفس ٠٠ وأعني هنا القاصة نفسها ٠

٣- الجو المأساوي الحزين في معظم الأحيان لمعظم نهايات قصص المجموعة ، والذي كان ينتهي على الأغلب إلى فجيعة أو ما يشبه الفجيعة بالنسبة للبطل أو البطلة في علاقاتهما العاطفية ٠ ولكنه ، بالرغم من هذه الملاحظات السلبية المتواضعة (كما) قياساً إلى (كم) الإيجاب ، فإن هناك على الرصيف الآخر عدداً وافراً من الملاحظات الإيجابية التي تتلخص بالآتي

ب - الملاحظات الإيجابية :

١- تمسك القاصة بالقيم والأخلاق الأصيلة السائدة في مجتمعنا العربي بعامة ٠٠ ومجتمع حوض الفرات بخاصة ، بالرغم من بدء تأثير التيارات والعادات الأوربية والأمريكية عليها ، ولهذا كانت القاصة من النوع المتمرد الثائر على هذا التأثير للوصول إلى مدينتها الفاضلة ، وقد

عكست كل من قصص (عويل باريس - ثوب الليلة الحمراء - حكاية جسد متمرد) هذا الموقف بشكل واضح ، وأظهرت رغبة الكاتبة في انتصار قيم الخير والحق والجمال .

٢- انتقاء الأبطال والبطلات من عالم القاصة وهواياتها في الكتابة في معظم الأحيان ، فهم وهن إما (كاتب أو شاعر أو قاص أو مفكر أو ذواقة للأدب بأجناسه كافة)

٣- جمال العناوين وشاعريتها بالإضافة إلى الأجواء الشعرية الحالية الحالمة التي لفت قصص المجموعة بالكامل أو كادت ، وقد حاولت القاصة فيما أرى - بالنسبة لانتقاء العناوين وأجواء القصص أن تسافر بنا إلى آفاق جميلة ، وآفاق ، تحمل معها الجدة والحلاوة ودفء العواطف لتزيل " ران " التشاؤم والجو الحزين ، والنهايات المأساوية للبطلات والأبطال .

٤- الثقافة الجيدة للكاتبة ، وفي أكثر من محور واتجاه .. بالرغم من صغر سنها ، والتي تركت آثارها بشكل واضح وجلي على معظم قصص المجموعة إن لم أقل قصصها كافة ، ففي قصة جدف يا سيىء الحظ ، تطالعنا على سبيل المثال الجملة التالية التي عبر فيها المدرب الرياضي عن إعجابه بأسلوب البطل ، " محمد " قائلا : أنت تتكلم بلغة شاعرية يا محمد ، وكأنك يا ابن الحلال قد تسولت كثيرا في سوق عكاظ فملأت جعبتك بالصور الحية المعبرة بعد أن طفت طويلا بحوانيت اللغة في العصر العباسي ، وفي قصة كيف ذابت بيننا الحدود نرى كثيرا من الجمل الدالة على ثقافة القاصة ، وبخاصة عندما تبدأ الحوارات بين البطل والبطلة حول نظرية (التنوير) التي تعرف النفس ، وحول أقوال ايكهارت عن موضوع حب الذات وحب الآخرين ونظرية باراسيلوس أيضا وحول طبقة الأوزون وأوزان الخليل بن أحمد .

٥- استخدام الأفعال المضارعة في عدد كبير من قصص المجموعة ، وهو ما زادها جمالا على جمال ، ذلك أن فعل المضارع يحمل معه الديناميكية والحركية اللازمة لتسارع الأحداث وتلاحقها ، كما ويحمل معه الحاضر وشيئا من بدايات المستقبل كما يعلم الجميع .

٦- انتقاء موضوعات القصص من الواقع الحياتي المعاش .. وبخاصة موضوع الحب والعلاقة بين الرجل والمرأة ، بوجهيه الموفق وغير الموفق على حد سواء ، والذي كان القاسم المشترك الأعظم لقصص المجموعة كافة باستثناء قصة المجد في الكيس الأسود .

٧- انتقاء المفردات والجمل التي تجسد الحدث القصصي وترصد الحالات النفسية لأبطاله بشكل جيد ، وتثير في القارىء شوقا طاغيا لمتابعة القصص وبخاصة عند الحديثة عن الحب والمواقف العاطفية التي غالبا ما كانت تحدث ضمن أجواء ، ارستقراطية يوشحها الألق والعبق بأكثر من وشاح .

كثيرة جدا كلمات (المرآة - أحمر الشفاه - وردة الرأس - العطر النفاذ - الشفاه الكرزية - الأقراط - الألبسة - الجسد) في المجموعة على سبيل المثال ، كما هي كثيرة جدا تعابير (أنفاسك تنغرس في مسامي - أعشق رائحتها - أصلي وأتضرع ليدخل اسمك في أعماقي ليتمطى ، ليكبر .. ليهشم داخلي - أحسست بأول حلم دغدغ أحاسيسي وأخذ يداعب أنوثتي الفتية فرضخت لتوسلاته المستميته - احتكرت ليل شعره الداكن لأغرس فيه أصابعي وهو مسجى أمامي - والعطر النفاذ يضيع على مسافة الجيد مجتازا رحلة ساحرة على متن جسد أبيض كالثلج، وتنطلق كالفراشة تدور حول نفسها أمام المرآة ، - أنا كنت أتزين. لأزف نفسي إليك - بعد أن تلتصق أنفاسه بجلدها - وجسدها

السخي المعطاء يقدم كل أسراره للناظرين دون تحفظ - ويسرد جسدها حكاية من حكايات التمرد والعربدة - يا لفمها ٠٠ حبة كرز تتدلى ٠ رأيت جمالها ٠٠ كان صارخا ٠٠ غابات من التبغ ونهر كحول وسواقي دفء - نظرت إليها ٠٠ كانت صيفا ناضجا وأنا متيم بالاحتراق - وبدت تخطر كأجمل امرأة وأنا الذي مر بحقول من النساء - ليلة حب ملتهبة تترنح فوق قوامها الخرافي - كيف سيروح جسدي في غيبوبة على جسدها الذي يملكه صديقي مروان - يا لها من امرأة حضنت كل الأزمنة وراحت ترسم لعيني زمن السحر - كانت عيناه أسطورة عشق ٠٠ محرابي في ليل غربتي - وتغيب أمام المرآة لتضع الوردة الحمراء إلى جانب رأسها وكأنها تعلن عن جسد يمور بالشوق والعشق - فمها كحبة كرز تتدلى أو كجدول شهد دائم ٠٠ وعيناها مروج خضراء ٠٠ كخضرة سوتشي الحالمة ، وغيرها والتي تدل على صحة ما ثقول ٠

٨- وأخيراً لغة الشعر ٠٠ وشاعرية المعاني، ذلك أن أسلوب القاصة كان من النوع الشاعري الأنيق الذي يحمل معه موسيقاه ويرحل إلى عوالم جماليات موشاة بالألق والعبق ، متشحا بألف قوس قزح ، متغلغلا عبر النفس الإنسانية في رحلة رومانسية حالمة ، وجملها كانت برقية مكثفة من النوع المشحون بالعواطف الحارة ، والدفء الشرقي ، والسحر الخلاب ، الذي يبهج القلب والعقل على حد سواء ٠

(٤)

تلك هي رحلة أدبية عجلى في رحاب" المجد في الكيس الأسود " المجموعة القصصية الأولى للصديقة القاصة (نجاح إبراهيم) التي استطاعت أن تفتح أبواب قلعة الفن القصصي ، وأن تدخلها بثقة وأمان ، وهذا ما جعلني - ولا أقول هذا القول من باب المجاملة - لأنني لم أعتد ذلك - أقول بكل صدق وموضوعية : جميلة حقاً هذه المجموعة القصصية ٠٠ وجميل أيضا كل ماقالته (نجاح) فيها ٠٠ هذه الكاتبة التي أرادت أن تبدع قصصا ٠٠ فأبدعت معها أسلوباً شعرياً ولا أحلى ٠٠ ونفساً مميزاً ولا أشهى وعبارات دافئة ولا أغلى ، كما أبدعت لوحات وصوراً عاطفية ولا أندى ٠٠ لها نشوة ساحرة آسرة ٠٠ وفتنة ثرية غامرة ٠٠ ذكرتني بعوالم ومناخات " ألف ليلة وليلة " حيناً ٠٠ وبجمالات وطقوسه في معظم الأحيان ٠

محمد منذر لطفي

* ليس من العدل في شيء ألا ترضوا من الكتاب بأقل من الآيات البينات ، وأن ترضوا من الوالدين ببنين وبنات أقل جمالاً من أدونيس وعشتروت ٠

ميخائيل نعيمة

الزمن العليل

شعر: دولة العباس

ماذا جرى يا سادة الإجرام في الزمن العليل ؟ !
أوما شبعتم من دم الأطفال ·· من ذبح الأصيل ؟!
أو ما شبعتم من دمار الكون ؟ والظلم الطويل ؟!
قتل ومذبحة هنا وهناك في الأفق الجميل !!
أم مقطعة وطفل ·· هالع بين الطلول ·· !
وأب تمزقه السنان وصرخة خلف القتيل ·· !!
وشريد قهر مشرئب صوب " يافا والجليل " !!
والعطر ·· !! لا عطر يرف ولا ارتعاش في الهديل ··!
مات الصداح على الذرى وذوت أراجيح الحقول
والسلم ·· يا للسلم يهوي خلف حقد مستطيل ··
والكون يهرع في جنون الخوف يسأل عن حلول
أين الحلول ؟ وفي يد الإجرام سهم المستحيل ؟!

* *

ألأجل ماذا يا جناة الحق ·· يغدر بالأصول ؟
ألأجل ماذا ؟ والحياة ·· تشد في درب الرحيل !!
أين العدالة ؟ أين أين البحث عن عيش جميل ؟
إني تعبت ·· وكلكم تعب من الزمن العليل !!

قصة قصيرة ..

المتسافل

بقلم
حسام سليم

كان يحلم ليل نهار في سنوات حياته التي عاشها ، ما كان يرى سوى صور نسائية تأخذ بلبه وتجعله ينسى أي شيء خلا تلك الومضات التي تنبعث من ابتسامة فتاة أو ضحكة رنانة أو اهتزازة مثيرة خلل مشيه متأودة وانثناءة خصر أهيف ..

يطلع عليه النهار وهو شارد اللب ، مشتت الفكر ، تأسره فكرة أن يلقى جنسه الآخر ويضمه ويطفيء نار شوق لاهب .. يتساءل بين الفينة والفينة إن كان ما يعصف بفؤاده شيء من جنون عارض أم طبيعة بشرية يستوي فيها كل أفراد البشر على حد سواء .. وعندما يتأبط كتبه ويطوي دروب المدينة دربا إثر درب يروعه أن لا يجد حواليه سوى أناس متسارعي الخطى كل في طريقه لا يلوي على شيء الا هو ما يفتأ ينظر يمنة ويسرة وتتوقف عيناه كثيرا على الفتحات العريضة للتنورات الزاهية الالوان والتي تمتد حتى تصل الى أعلى الفخذ أحيانا .. هناك يتجمد بصره ويشعر بتسارع دقات قلبه وبأنفاسه وقد اثقلها لهيب الافتتان ، وفجأة يشتم عطرا فواحا ، شذى يدير رأسه ورائحة زكية تتضوع من كل شيء حواليه وينظر وإذا بقد ممشوق وثوب زهري قصير وساقان بضتان ملفوفتان تنقران الأرض قربه .. ويشعر بدوار وخدر يسري عبر جسده كله وينظر ويطيل النظر ويحسب أن الأرض قد بدأت تميد تحت قدميه وينسى للحظات كينونته وعقلانيته ويستعذب التيه والضياع في دنيا الاحلام والرؤى التي تفسد الرصانة وتطرح الاتزان جانبا وكوميض البرق تراوده فكرة مجنونة : ان يمسك بهذه الفتاة ويعتصر شفتيها وان يسمح ليده ان تمتد عبر تنورتها السوداء ويكتشف الابعاد الناعمة لساقيها وتزداد ضربات قلبه قوة حتى يشعر وكأن قلبه قد وثب خارج جسمه الذي مزقته الشهوات والاهواء .. وتبتعد الفتاة شيئا فشيئا وهو أشبه

مايكون كالسائر خلال النوم وينظر الى الساعة وقد تجاوزت الثامنة ويدرك ان محاضرته الاولى قد فاتته حيث انه ما زال في أول الطريق .

هذه الافكار جعلت من سامي شابا هوائيا عصبيا ، لا يؤمن بشيء ، يجمع في رأسه متناقشات الدنيا كلها حتى انفض من حواليه كل الناس وغدا وحيدا بلا أنيس أو صديق يفضي اليه بدخائل نفسه ومضمون أفكاره ولشد ماكان يسوءه نظرات الفخر واللمز التي يلقاها هنا وهناك في فناء الجامعة وعبر الطريق ويجن غضبا وهوي رى تجمع أقرانه فوق بقعة من الاعشاب الخضراء يتحدثون ويضحكون ويتساءل في ذات نفسه عن سر هذا الائتلاف الشاذ الذي حرم منه دون ان يدري سببا لذلك ويشعر بالظلم الاجتماعي وتتوالد في خياله الافكار السوداء ويسجل في دفتر ملاحظاته فكرة أن الناس يتوزعون حظوظا غير متساوية في دنيا تزخر بأنواع شتى من المحن والنوائب .

ويضرب في الارض على غير هدى ويجلس تارة هنا وتارة هناك واخيرا تأخذه قدماه الى ركن خفي في احدى جنائن المدينة ..

يجلس باسترخاء ويمد ساقيه غير عابىء بشيء ويبدأ يستعرض أفكاره التي باتت حبيسة خلايا دماغه وتلك التي استحدثها خياله الجامح فيرى ان زميلته في قاعة المحاضرات " هيفاء " تخطىء أشد الخطأ وهي ترمي بنفسها بلا حياء ولا ترفق ولا احتشام وسط مجموعة فاسدة لا تعلم من الحياة الا جانبا واحدا ليس غير .. ذلك الجانب المادي الذي يجعل من الانسان أتونا من نار لاهب يحترق ويحرق كل شيء يلامسه ويمسك " سامي " بدفتر ملاحظاته ويسجل فكرته الثانية : اذا طغت النوازع المادية المحضة في نفس الانسان فلا شيء في الدنيا يحول بينه وبين السقوط والانهيار والذوبان " .

ويسترسل سامي في افكاره وقد استبد به غضب مفاجىء ويرتفع صوته وكأنه يحدث أحدا قربه :

- ما الذي يجعل هيفاء طيعة سهلة الانقياد مع أي شخص سواه .. ما الذي يجعلها تتأبى وترفض بعناد واصرار مجرد مبادلته تحية الصباح ويعزي نفسه وهو يرى هيفاء ذات ثراء غير عادي وجمال ساحر ويجعل اعتى الرؤوس تطأطىء إذلالا ثم يذكر فجأة ان هيفاء ذاتها بثرائها وجمالها لا تتأبى على أحد سواه ، وينقب في ذاكرته عن سبب يقنع به نفسه فلا يجد سوى الخيبة وآلام الحسرة والهوان الذي يلقاه في كل مكان ..

وينهض فجأة وكأنما قد لسعه ثعبان وينظر الى ملابسه ويتحسس جيوبه فيلقاها خاوية لا شيء فيها ويهتف بمرارة :

- رباه أهي ملابسي إذن وجيوبي الفارغة ؟؟

وتنزلق على وجنتيه قطرات ساخنة وينظر الى بعيد حيث تطاولت عن بعد أشجار وبدت عالية وكأنها تلامس أطراف السماء .. وجلست من جديد وأمسك بدفتر ملاحظاته وسجل فكرته الثالثة :

- الانسان في هذه الدنيا حثالة ان لم يكن صاحب مال او جاه ويضع اشارة تعجب ثم يتابع : أكتب للانسان ان يشقى ويطابد الصعاب من أجل حفنة من مال او وجنة حمراء .. انها ضياع الانسان والانسانية ..

وينظر بقلق هنا وهناك وقد وجد كل شيء ساكت سكوتا مريبا ، لا أحد سواه يجلس على هذه المقاعد التي لا تبالي بمن راح أو جاء وينظر الى ساعته فيرى ان محاضرته الثانية قد أزفت فيغادر الحديقة راكضا وكأنه قد اضاع شيئا فهو يجري في إثره لاهثا .

دخل قاعة المحاضرات ، كان الاستاذ القصير القامة يقول صائحا :

- ان الانسان ذو قدرة خارقة .. كل شيء طوع أمره حتى الفضاء .. ماكان بالأمس مجهولا عصيا ممتنعا على الادراك غدا اليوم مألوفا ومعروفا حتى لأقل الناس معرفة .. وتوقف فجأة وقد استوقفه منظر طالب لماح الوجه ، أشعث الشعر ذي بنطال زينته بقع هنا وهناك وصاح وقد استبد به غضب مفاجيء :

- من تظن نفسك حتى تقطع علي أفكاري ؟؟

وبعد فترة صمت قصيرة :

- قلت مرارا من أحب العلم فليحضر باكرا ولا مكان للكسالى بيننا .. كفانا تخلفا أما سمعت بباستور أمضى حياته كلها في تجارب مستمرة حتى أنقذ البشرية من خطر الجراثيم وأصبح من كبار العلماء ونحن نغط بنوم عميق .. أفق يا أستاذ ، وكن سباقا في حضور الدرس .. ثم التفت الاستاذ المحاضر وخاطب الطلاب قائلا :

- أبنائي ليس عجيبا أن يصل الغرب أعتاب الفضاء ونرزح نحن تحت في سفوحه فإن الدنيا عمل دؤوب ، وبعد فترة توقف قصيرة تابع الاستاذ قائلا :

- اكتبوا يا أبنائي أن الدنيا كسب من ارادها وأن النجاح في متناول كل يد عاملة وفاعلة ..

كانت ضحكة خافتة متأوهة تسمع في جنبات القاعة وأحد الطلاب يمسك بساق زميلته وهي تغالب ضحكة رنانة وحانت من سامي التفاتة فرأى ان يد الطالب قد استقرت فوق ساق زميلته ..

أخرج سامي دفتر ملاحظاته وسجل فكرته الرابعة :

- لا شيء أقوى من الجنس واذا ما قدر لي أن أسقط صريعا في فترة ما من حياتي فسيكون ذلك بلا ريب نتيجة ساق مكشوفة أو صدر ناهد أو خصر ناعم ..

خرج ظهرا وقد الهبه الجوع وراح يبحث عن لقمة يتبلغ بها وأحس بمرارة مساءلته نفسه وهو يتحسس جيوبه ويلقاها خاوية الا من ليرات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع وبرغم ذلك مضى قدما وتناول فطيرة من اول محل صادفه وحانت منه التفاتة فرأى صبية شقراء تترجل من السيارة وقد انحسر ثوبها عن فخذها كله فراح يحدق وقد نسي ان يكمل مضغ اللقمة وقد أخذ قلبه يدق دقا عنيفا .. وذهنه يسجل فكرته الخامسة دون أن يضيفها الى دفتر ملاحظاته :

- الجوع والجنس ولا شيء سواهما يقتلان في النفس كل ارادة وطموح ويجعلان من الحياة سلسلة الام وعذابات لا تطاق ..

وفكر بتياهو يستعرض هذه الفكرة في رأسه :

- أي قيمة للانسان اذا كان أسير رغبة عضوية تنهش صدره وقلبه في آن ..

وابتسم وقد ومض في ذهنه احاديث علماء النفس الذين يجيدون حل هذه المعضلة الشائكة في تسام يعتقد هو انه يحمل في طياته هبوطا مسفا وتساقطا مريعا ..

وهز راسه مرة أو مرتين وكأنه يؤكد هذه الحقيقة التي يتعاطاها من أتخم حد الشبع .. ومرت من أمامه مجموعات صغيرة لا هية من شبان وشابات فاندس بينهم وراح يستعذب رائحة العطر التي تعبق حواليه .. ووسط الزحام ترك يده تنساب على ردف صبية انحشرت معه وسط الزحام وشدد الضغط الذي لان تحت لمسة يده الخشنة واهتز نشوة لولا نظرة شرسة واستدارة وجه طافح بالشر ينذر ويتوعد .. فاحمر وجهه وتابع سيره وقد ازداد بؤسا وألما ..

وجد نفسه ثانية في الحديقة التي كانت شبه خاليه في الصباح وقد امتلأت الآن بزوار كثيرين ، وقف هنيهة وراح يقلب نظراته هنا

وهناك مستطلعا وأخيرا يمم شطره تجاه فتيات يترامين الكرة ويجرين خلفها ..

جلس غير بعيد وبدأ في اختلاس النظرات المنوعة ومع تطاير فساتين الفتيات وعري سيقانهن كان سامي يجمع في خياله ويرى بعين الخيال " الكوليت " الناعم الذي يظهر احيانا تحت الفساتين القصيرة لهاته الفتيات ، وتثب احدى الفتيات وتنطرح ارضا وقد انشبك طرف ثوبها وبدا عريها نهبا للأعين الجائعة .

وثب سامي مسرعا واقترب من الفتاة وانحى فوقها محاولا رفعها وهو يمعن النظر في ساقين ناعميتن وسروال لا يكاد يخفي شيئا وجسم انثوي لدن يسترخي عل التراب ماكان يراه مستلقيا أمامه حتى أحلامه التي يفزع اليها عندما تعصف بجسمه نوازع الشهوة ، وتهدج صوته وتثاقلت أنفاسه وهو يمد يدا غلب عليها الارتجاف والاضطراب ويقول لاهثا :

- سلامتك ..

ونهضت الفتاة وشكرته على مبادرته اللطيفة ومشت وسامي واقف بثبات لايزال يحملق بتلك الصبية انطبعت صورتها في خياله وهيهات ان ينسى محياها في ساعة من ليل او نهار ..

واستأنفت البنات اللعب وتطايرت الفساتين من جديد وانكشفت السيقان ، والافخاذ ثانية واهتزت خصور وسامي مافتى أسير ذلك الجسم الانثوي الذي احتضنته الارض برفق وأناة

بعد فترة ليست قصيرة بدا سامي يحرك قدميه وقد غادرت الفتيات الحديقة وبدأ يتلمس طريقه بحذر وكأنه يمشي عبر دروب ليست سالكة وارتأى ان يعود الى بيته وقد ظن ان الليل يوشك ان يسربل الدنيا حواليه لولا ان اعاد اليه وعيه نور الشمس الذي مايزال يسطع بضياء صاف شفاف .. ومشى حتى كلت قدماه وهو شارد اللب ، تائه النظرات يبحث عن شيء أضاعه هناك في ارض الحديقة .. وأحس بيد ثقيلة تهزه هزا وصوت قاس يصل اذنيه بخشونة وفظاظة ..

- مابك يا سامي ؟؟

وينظر سامي وقد آلمه ان يحدثه أحد وهو في هذه الحالة من التشتت والقلق والاضطراب ويجيب بجفاء:

- لا شيء .. وبعد فترة صمت قصيرة :

- ثم أي غرابة في أن تجدني أجوب شوارع المدينة في هذه الساعة ..

- لا أحسب إلا أنك تمشي على غير هدى .

وبحدة قال سامي :

- وهل أطلعت على دخيلة نفسي وعرفت ذلك ..

- لايحتاج أحد سوى نظرة واحدة كي يرى ما أنت فيه من اضطراب ..

- إليك عني فلست ارغب في الحديث .

وسار مهرولا وابتعد به المسير حتى علت الشمس صفرة باهتة وبدأت أنوار النهار تخبو شيئا فشيئا فآثر أن يعود الى البيت وقد أخذ منه الاعياء كل مأخذ .

* * *

دخل غرفته دون أن ينظر يمنة ويسرة أغلق الباب بالمفتاح خشية أن يدخل عليه أحد من أهله ، لقد قلبته صورة الفتاة العارية رأسا على عقل جعلته يرغب في محادثة نفسه حديثا خاصا .

استلقى على سريره وراح يستعيد في خياله فتاة المدينة بثوبها القصير وسيقانها العارية وجسمها اللدن الذي تمدد على ارض الحديقة بكيفية مثيرة تجعل أي ظامىء يرتمي فوقه طلبا للارتواء ولكن أخلاقيات العصر تحول دون أي إشباع قسري .. هي في متناول اليد إلا أنها

عصية عن الامساك .. أي منطق هذا ؟؟ أيعقل أن يجوع الانسان وسط موائد عامرة بألوان شتى من أطايب الطعام ؟؟ كل شيء قابل للتصور في مثل هذه المتناقضات التي تجثم فوق الصدور وتجعل الأنفاس ثقيلة الوطأة ..

واستمر في هذيانه حتى سمع طرقا على الباب وصوت أمه يقول :

- ألا تريد أن تتعشى يا ولدي ؟

- لا يا أمي لست جائعا ..

حقيقة كان لا يريد أن يأكل فما للطعام مذاق في فمه .. هو يشعر بجوع من نوع آخر ، جوع يأكل داخل قلبه وأحشاءه وحتى أطرافه وأحيانا يشتد به الجوع حتى يخيل اليه أنه متاكل لا محالة وأنه سينتهي بشكل أو بآخر وستحرقه نيران خفية غير مرئية تتلظى وتستعر داخل جسمه حتى يغدو جسده حارا لا يمس .

* * *

وومضت في ذهنه فكرة أن يخرج ثانية فالشوارع الآن لا تخلو من إحدى بائعات الهوى اللاتي يخطرن متعطرات لا يعرضن بضاعتهن الا في خضم هذا الليل البهيم .. وأسرع خارجا وصوت أمه يناديه ..

لفحه الهواء البارد فتدثر بمعطفه وسار متعجلا حتى وصل متعبا قد أخذ منه الاعياء كل مأخذ .

كانت الاضواء منتشرة بكثرة والظلام قد امحى والحدائق تزين المكان بأزهار وورود تتوسطها نوافير تقذف مياها لا تلبث أن تتساقط شلالات صغيرة هادرة تبدد ما ران على الدنيا من سكون ..

سيارات قليلة تمر مسرعة بأضواء مبهرة تعشى لها العيون ، تلفت بعيون قلقة فما وجد أحدا .. المكان خال ولا سامر ولا انيس ولولا الأضواء التي غسلت ظلمة الليل لكان المكان موحشا مخيفا ..

غذ السير ثانية فهذا المكان كما يسمع من زملائه يعج بضيوف مختلفة من ذوات التنانير البالغة القصر والأحذية العالية التي تنقر الطريق نقرا وتحدث صوتا مسموعا يكاد يطغى على كل ضجيج سواه ..

سار .. وسار بلا جدوى .. اعتقد أن النحس سيظل يرافقه وكاد ييأس ويعود أدراجه عندما برزت من زواية غير مضاءة امرأة تتهادى حسب للوهلة الاولى انها تتراقص على مسرح غير مرئي .. تسارعت دقات قلبه وتوهجت عيناه وتثاقلت قدماه فوقف ساكتا لا يريم ، ووجد نفسه يتساءل عما اذا كانت غير ما ظن وقدر ، وبسرعة نفى هذا الظن وهو يطمئن نفسه قائلا:

- وماذا تفعل في مثل هذه الساعة من الليل ؟؟

والح عليه الظن من جديد..

- أوكل من تخرج في هذا الوقت من الليل تنشد تسلية وتطلب رفقة ؟؟

وطوح بهذا الظن بعيدا والمرأة تقترب متمايلة وهو ثابت في مكانه بلا حراك ..

كانت رائحة عطر نفاذة تحيط بالمرأة جعلت " سامي " يهمس :

- إنها هي من أبحث عنها .. وبسرعة اقترب منها وقال بصوت لا يكاد يسمع :

- أتريدين مساعدة يا سيدتي ؟؟

وبضحكة رنانة أجابت وهي تنقل قدمين غير مستقرتين على الأرض :

- أريد حمارا للركوب ..

وقهقهت عاليا حتى خيل لسامي ان كل شيء يرنو اليه محدقا حتى النوافذ والأبواب وأمسك بيد المرأة محاولا الاسراع في مغادرة المكان ولكنه ألفاها تمانع بكل ما أوتيت من قوة ..

- الى أين تريد أن تذهب بي ؟

- حيث تريدين ..

- لا اريد أن أذهب ..

- أنت الآن متعبة ويجب أن ترتاحي ..

واسرع يستوقف سيارة كانت تمر من أمامهم ببطء شديد .. وفتح الباب وقذف بالمرأة الى داخل السيارة التي بدت غير راغبة ولكن دون ان تبدي مقاومة تذكر وتنبه على صوت السائق يسأل :

- أين تريدان الذهاب ؟

فاشار الى المرأة التي ردت قائلة : شارع ....

وبدأت السيارة تنهب الأرض حتى توقفت أمام شارع فسيح امتدت على جانبيه أبنية طالت واستطالت حتى لتكاد تحجب النور والهواء.. وغمرت الاضواء كل مكان حتى ظن سامي للوهلة الاولى ان الليل قد انجلى وان النهار طرد بضيائه ظلام الليل الدامس .

وترجل سامي أولا ثم هرول يفتح باب السيارة للمرأة بعد أن نقد السائق الأجرة وبعد فترة توقف قصيرة مشت المرأة وسار سامي إزاءها صامتا حتى قالت المرأة :

- لقد وصلت أتريد مني شيئا آخر ..

- اريد أن أطمئن عليك ..

- إذن تعال معي ..

* * *

استلقت المرأة على الفراش بكامل ثيابها فانكشف فخذاها وبدت أجزاء كبيرة من لباسها الداخلي فأثار ذلك كله سامي وشعر بدقات قلبه تزداد وبحرارة تسري في سائر أجزاء جسده .. وتقلبت المرأة على الفراش يمينا ويسارا وكأنها تجلس وحيدة بغير رفيق ليل .. وكانت في كل مرة تبدي جزءا من جسمها ما كان ظاهرا من قبل ..

هم سامي مرة أو مرتين أن يرتمي على المرأى وينهل .. الا أنه هاب المرأة وافتقد جسارته فألفى نفسه يرتعش .. وامتلأ قلبه خوفا وحدث نفسه بالهرب فما به قدرة على الاستمرار محدقا صامتا لا يدري ما هو فاعل وتناهى الى سمعه صوت المرأة :

- ما لك .. ألا تجلس بقربي ؟؟

وتقدم آليا وجلس على طرف الفراش خائفا وجلا به رغبة مسعورة لأن يأكل جسد هذه المرأة شبه العارية أكلا وكله خوف مما سيتأتى بعد ذلك .. وتملكته حيرة وغشيه اضطراب فما عاد عليك من أمر نفسه شيئا .. ولعله راق له أن يسلب كل ارادة حرة حتى يصبح غير مسؤول عما يفعل ..

وشعر بيد المرأة تجره اليها فاستجاب بطواعية ما حسب أنه سينقاد في يوم من الايام بمثل هذا اليسر والسهولة وومض في ذهنه فجأة قول شاعر كان يصارع غصص الموت :

خذاني فجراني بثوبي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعب قياديا
..

ولكن عرته دهشة واضطراب .. ذاك شاعر يصارع سكرات الموت ويسلم قياده صاغرا في لحظات حياته الاخيرة حيث بات بلا حول ولا قوة ولا اختيار .. يتوسد ثرى أرض قاسية خشنة .. وهو .. وشعر بقلبه يرتج ارتجاجا وهو يرى نفسه غارقا في أحضان امرأة غريبة يتقاسم معها فراشا وثيرا ، ناعما .. أين من ذلك الثرى الذي توسده الشاعر المحتضر ؟؟ وانتفض واقفا والمرأة تناديه ثم أدار ظهره وفتح الباب وخرقه بخطوات سريعة .. وشتائم المرأة تلاحقه بصوت كان لا يزال مسموعا ..

* *

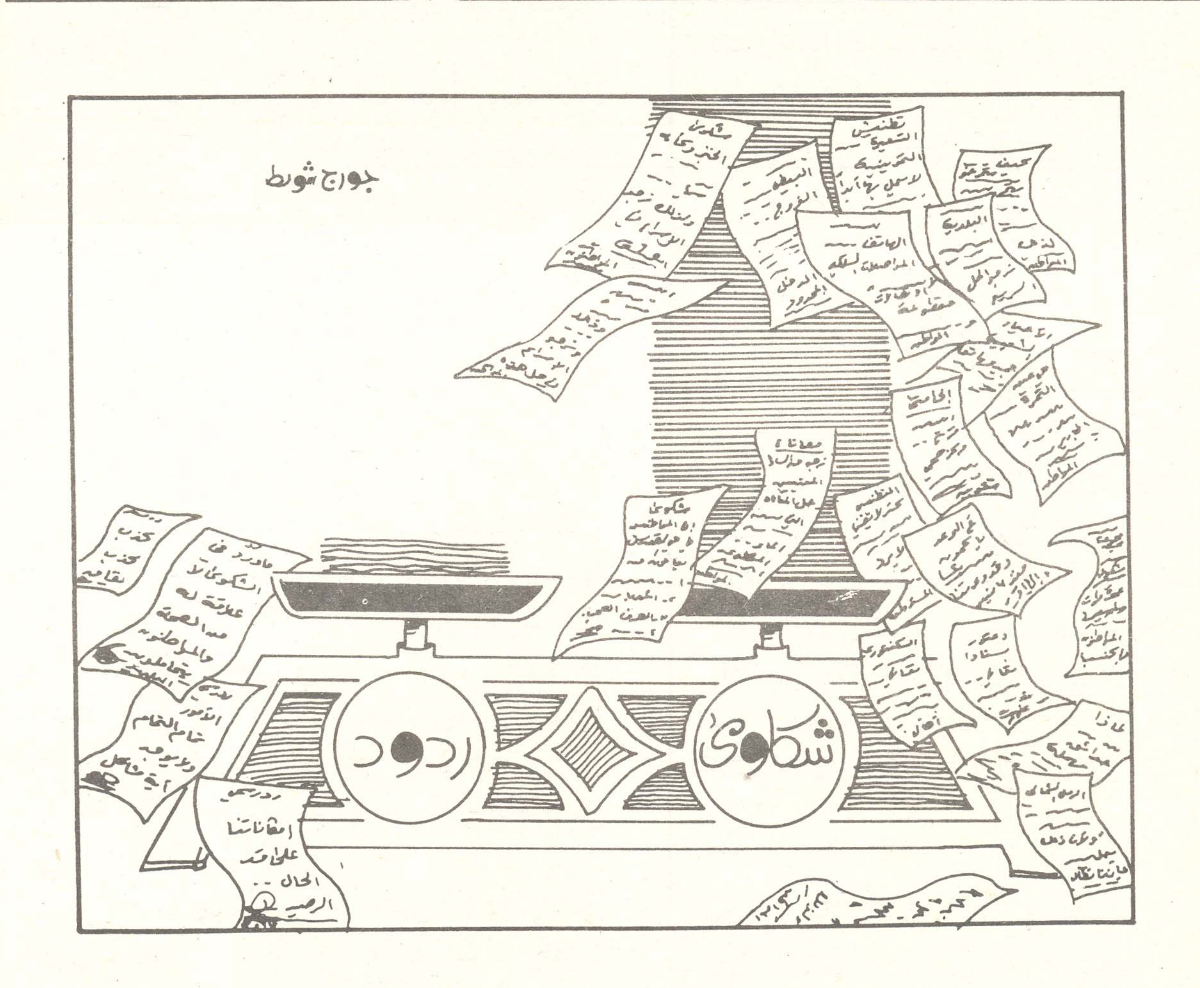
كان الليل آخذا في الافول وخيوط فجر وليد ينبثق خجلى من أطراف أفق واسع الامتداد

وهبت نسمة باردة داعبت وجه سامي فسرت في جسده رعدة وشعر ببرودة حقيقية فانكمش على نفسه وسار على غير هدى ٠٠ ما زال واقعا تحت تأثير ماجرى له في الساعة الاخيرة وحسب للحظات ان ذلك كله أضغاث أحلام وأن المرأة ليست أكثر من طيف خيال الم به في ساعة وسن غند الفجر ٠٠

ومد يده يتلمس جسده وأطرافه عله يقف على حقيقة الأمر وأدرك أنه في يقظة تامة وكل ما جرى حقيقي ليس للخيال فيه شأن ولا نصيب ٠٠ ورمى ببصره بعيدا وتوقف لحظة ثم مشى وقد شعر لأول مرة في حياته بنقاء الهواء الذي يملأ الوجود حوله ٠٠ ولاح ضوء الفجر فرآه يخترقه بنور وضياء بقايا ليل قدطال واستطال ٠٠ وأحس بغثيان وشعر برغبة لأن يتقيأ ويلفظ ما في جوفه دفعة واحدة ٠٠

كان يسير من شارع لاخر عندما بزغ نور الشمس فرمى ببصره الى الخلف وتذكر قصة كان قد قرأها تحكي عن ضياء نجم يأتي من بعيد ٠٠ فتبسم وقد شعر بحاجة الى أن يشرق هذا الضوء من بين ظلمات نفسه التي كاد أن يودي بها الشيطان قبل ساعات ٠٠

حسام سليم



رسالة مفتوحة

إلى الأميرة الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح

بقلم : ماجد العمري

مدير معهد حلب للموسيقى

من مدينة حلب ومن إحدى مؤسساتها العلمية والتربوية ‥ من معهد حلب للموسيقا ‥ إداريه وطلابه وطالباته نقدم إليك أعطر التحيات مقرونة بأصدق الأماني لدوام عزك وعطاءاتك الأدبية العظيمة ٠

أيتها الشاعرة الأميرة ، اسمك ليس غريباً على متتبعي الآداب في عالمنا العربي الذي يعشق الكلمة الحلوة التي تصدر عن صفاء وقناعة وبعد عن الانتهازية والتبجح والادعاء وكم راج سوق أمثال أولئك الأدعياء ٠

أيتها الأميرة الشاعرة الرقيقة ، الدارسة ، المثقفة ، المتطلعة إلى سمو الكلمة ومعنى هذه الكلمة ، ومعانات الكلمة في مجال المتأدبين ‥

مجلة الثقافة الدمشقية خرجت علينا بمقال في عدد شهر أيلول (ديسمبر) ١٩٩٢ كتبته الأديبة السورية وداد قباني عنوانه : سعاد الصباح وآخر السيوف ٠ وقد أحسست بأن الأديبة السورية تفاعلت مع الأبيات لدرجة أنها غابت بين ثنايا كلماتها وانصهرت تعابيرها في شعرك حتى غدت كلها تشكل سينفونية راقية الأحاسيس والمشاعر ‥

أنت السفينة ‥ والمظلة والهوى
يامن غزلت لي الحنان جسورا
غطيتني بالدفء منذ طفولتي
وفرشت دربي أنجما وحريرا
وحميت أحلامي بنخوة فارس
لم تلغ رأيا أو قمعت شعورا

وكذلك : ‥
البحر أنت ‥ يفيض من شطآنه
قدر الكبير بأن يكون كبيرا

هذه السينفونية غاصت في أعماقي وفي زحمة الحياة وأيامها وتداولها بين الناس ‥ وحقبة مرت ليست قصيرة وإذا بسينفونية جديدة تطالعنا بها الثقافة الدمشقية أيضا للمايسترو وداد قباني واللحن والتوزيع الهارموني إلى أميرة الدكتورات سعاد الصباح :

كن صديقي
كن صديقي
فأنا محتاجة جداً لميناء سلام
وأنا متعبة من قصص العشق وأخبار الغرام
وأنا متعبة من ذلك العصر الذي
يعتبر المرأة تمثال رخام
فتكلم حين تلقاني
لماذا الرجل الشرقي ينسى
حين يلقى امرأة نصف الكلام ؟؟
ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى ‥
وزغالي حمام ‥
ولماذا يقطف التفاح من أشجارها
ثم ينام ‥؟؟!

هذه السينفونية التي قادت ألحانها المايسترو " وداد قباني " جسدت فينا نحن اللاهثون خلف المواهب الصادقة والمبدعين

والمبدعات كوامن تتفاعل لتنطلق لعالم الفن إبداعا رائعا ·

فأنت يا أميرة الأميرات وأميرة الشاعرات في أحاسيسك لا تقلي روعة وموهبة وإحساسا وصدقا عن العظام من شعرائنا المعاصرين ·

قلت في الوطن وحب الوطن وقال السياب بالوطن وحب الوطن وقلت بصدق العاطفة وقال نزار بالعاطفة وكذلك صاحب دار الثقافة قال بالعاطفة ·· ويحضرني بعضا مما قالوه ، نزار قباني قال يتغزل في وطنه :

كيف أهواك والحمى مستباح
هل من العدل أن يحب السجين
لا تقولي نسيت لم أنس شيئا
كيف تنسى أهدابهن الجفون
غير أن الهوى يعير ذليلاً
كلما ذل للرجال جبين

·

وقال الشاعر صاحب دار الثقافة الدمشقية مدحة عكاش :

وبت تغفين ملء العين ناعمة
وبت وحدي بالأحزان أنفرد
أشرعة الحب تقضي أن نذوب هوى
وغيرنا في بقايا الحب قد سعدوا

·

أنت رائعة كما هم رائعون ومن منطلق تقديرنا للمواهب والأحاسيس وعباءة الإمارة التي تلفكم لزم علينا أن نشكر المشرفين على هذه المجلة الأدبية التي تقدم دائما المستجدات في الأدب والشعر وغيرها من الفنون على صفحاتها ومن سلوكيات إدارة معهد حلب للموسيقا تقديم أصحاب المواهب المبدعة والخلاقة إلى الأجيال الصاعدة ومعهدنا يضم شبابا وشابات مقبلين على علم الموسيقا مع متابعة دراستهم في الجامعة · منهم في كليات مختلفة ، الاقتصاد ، الطب ، الهندسة ، الزراعة ، والحقوق وغيرها وبعضهم في المدارس أيضا · ومن يقبل على علم الموسيقا يتفهم اللغات الأساسية في هذا الوجود وهي لغة التخاطب بالعواطف والمشاعر والأحاسيس وعندما نخاطبك نكون نحن في مجال تخصصنا وأفكارنا أيتها الأميرة الشاعرة لا شك أن أعظم عظماء العالم ممن يحسنون الكلمة كرموك سواء عن قرب أو عن بعد · ولكن جيل كالذي في معهدنا (معهد حلب للموسيقا) الذي يتطلع للعلا وأنت يا دكتورة في الأعالي جاها ، أدبا ، شعرا ، وعلما ومن علوك في العلم والفن نخاطبك وندعوك لحفل فني يقيمه المعهد احتفاء بحضورك وحضور كبار من الأدباء والشعراء والفنانين يستضيف المعهد هؤلاء النوابغ ليحتفي بتكريمهم وتقديم شهادة المعهد الفخرية التي لا تمنح إلا لأكابر المبدعين المؤثرين في العلم والفن والوطنية ·

برامجنا تكون دائما من الفنون التراثية يتخللها بعض من الألحان الحديثة لشعراء أغنوا المكتبة العربية بالراقي من القول وأنت واحدة ممن نعتز بهم ·

وقد عودتنا قيادتنا في بلدنا أن تبارك أمثال هذه المساعي التي تشجعها وتقف في صف الساعين لها ·

وتلبيتك دعوتنا شرف تسبغينه على الأدب والفن ومن يدور في رحابها ·

تحياتنا واحترامنا نقدمها في الختام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ماجد العمري
مدير معهد حلب للموسيقا

«سحر» وموسم الحب

شعر: جابر خير بك

مهداة إلى " سحر عكاش " بمناسبة زواجها في
٢٤-٥-١٩٩٣

يا موسمَ الحب طاب الشعر والسمر
وطاب في ملتقى أحبابنا السهر
يا موسم الحب حنت للصبا غللٌ
وحن للحن بعد الغربة الوتر
فجاء يسكب من أحنائه نغما
وراح يحسد أذنَ السامع البصر
ولاحه الشوق للذكرى تداعبه
وهل تطيب بغير الإلفة الذكر

* *

يا موسم الحب هذا يوم فرحتنا
منضر طيب الأنسام منتظر
ففي النفوس صبابات لمورده
وفي الفؤاد لهيب الوجد يستعر
جئنا إليه وكاس الحب فارغة
من الرحيق فأغنى كأسنا الثمر
يا للأحبة إن راحت تضمهم
أفراح من أخلصوا في الود واعتمروا

صبوا من الدن خمر الحب صافية
وورزعوا الطيب فالأحباب قد حضروا
تبادلوا نخب من رفت بشاشتها
عطرا وغطى جمال البسمة الخفر
في كل رشة نور من مباسمها
شمس تضيء ويزهو بالسما قمر
وللجمال احترام حين تغمره
أخلاق من حصدوا النعمى ومن بذروا

* * *

يا من تغنى بها علم ومعرفة
وأزهرت في حنايا صدرها فكر
فأثمرت قيما والعدل توجها
بالحق ما ردها عن قوله بشر
تعلمت من كريم الأصل مأثرة
أن العدالة بالأخلاق تنتصر
فأقسمت أن تقول الصدق مؤمنة
بالله ما غيرت إيمانها الغير
ومن تربت ببيت صالح غمرت
ساحاته قيم أهدافها درر
تبقى مجلّية في كل مكرمة
ما مس سمعتها مين ولا وطر
سبق الأصيلة في الميدان منتظر
حتى ولو كثرت في دربها الحفر

* *

يا بنت من جعل الأخلاق قبلته
ومن تغنى به الإيثار والكبر
سيري فدربك بالنعمى معبدة
وبالعطور وبالأزهار تستتر
كم رشها وسقاها من مدامعه
أب رحيم وقلب طاهر عطر
طواك تحت جناحيه مدللة
يحميك إن لاح في ظلمائها خطر
أغناك من حبه حتى كبرت كما
شاء المحب فأرضى نفسه الظفر

* * *

أحبابنا شيّدوا بالحب داركم
فإنه خير ما تبنى به الأسر
وأنت يا " عبد " كفؤ كي تصون هوى
اختاره الله أمنا والهوى قدر
خلقت في الحفل جوا عاطرا فرحا
وزينت صدر هذا المنتدى " سحر "

جابر خير بك

يا للعجيبة !! أزرع قلبي على الورق ، فينبت في قلوب الناس

ميخائيل نعيمة

بدايات الشعر الحديث ... وسمات التجديد في الشعر السعودي

بقلم: عبدالله بن إدريس

جبل الإنسان طبيعة وتكوينا على الملل والضيق من الرتابة وبقاء ما كان على ماهو كائن ، فهو اذن يتفلت على واقعه فيما يمكنه التفلت فيه ويحاول أن يحدث فيه تغييراً ما .. سواء تعلق هذا التغيير بحياته المادية وعيشه الداني ، أو بحياته العقلية والنفسية على امداء تتسع أو تضيق وفق المساحة المتاحة لحركته الإنسانية الطبيعية .

وكل يقدح من زند فكره وعقله مايتمتع به هذا العقل والفكر من حصافة وخصوبة ، قوة أو ضعفا ورعونة . وكل ماكان الإنسان أعمق ثقافة وأخصب فكرا وأصفى ذهنا استطاع أن يضفي على حياته مسحة تجدد وأن يضيف إليها جديدا مما تزخر به مناشط الحياة .. لا سيما إذا وجدت لديه الحوافز والعوامل المؤثرة في مسيرته الحياتية والدافعة للإجادة والإبداع كالمنافسة في الشعر مثلاً بين أثنين فأكثر وهو موضوعنا هنا ، فهذه المنافسة بين القرناء قد تدفع إلى تجويد النتاج وتنويعه ومحاولة الابتداع فيه على غير منوال سابق صياغة أو مضمونا أو هما معا .

ولعل أقرب مثال نتذكره جميعا ما كان من ادعاء كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب من أنه الأسبق من صاحبه في كتابه القصيدة الحرة عام ١٩٤٧م وان ماعمله أحدهما كان البداية المعروفة والمعترف بها في كتابة الشعر الحر عام ١٩٤٧م .

ونحن وان لم نسلّم تسليماً مطلقاً لأحدهما في هذا الادعاء إلا أننا ندرك أن ظهور الشعر الحر في العالم العربي على مدى اوسع كان في العراق وكان مجال تنازع بين نازك والسياب في ادعاء الأسبقية إليه .. وهو ادعاء فيه نظر سنذكره فيما بعد .

وتقص علينا نازك ما تعتقد أنه أول ميلاد قصيدة من الوزن الحر بقصيدتها «الكوليرا» فتقول (نظمتها يوم ٢٧-١٠-١٩٤٧ وعلقت عليها المجلة في العدد نفسه وكنت كتبت تلك القصيدة أصور بها مشاعري نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي داهمها ، وقد حاولت فيها التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر .. وقد ساقتني ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر) (١)

ثم تذكر أن هذه القصيدة نشرت في بيروت ووصلت نسخها بغداد في أول كانون الأول ١٩٤٧م وفي النصف الثاني من الشهر نفسه صدر في بغداد ديوان شعر بدر السياب (أزهار ذابلة) وفيه قصيدة حرة الوزن له من بحر الرمل عنوانها (هل كان حبا؟) كما تذكر نازك أنه في صيف سنة ١٩٤٧م صدر ديوانها (شظايا ورماد) وفيه مجموعة من القصائد الحرة .. وهي آذار ١٩٥٠م صدر في بيروت الديوان الأول لشاعر عراقي هو عبد الوهاب البياتي بعنوان (ملائكة وشياطين) وفيه قصائد حرة الوزن ، تلا ذلك ديوان (المساء الأخير) لشاذل طاقة في صيف ١٩٥٠م

وفي أيلول ١٩٥٠م صدر للسياب ديوان أساطير .

هذه هي بداية ظهور الشعر الحر في العراق ومن ثم شاع هذا الاتجاه في العالم العربي

كله تقريبا ومنه بطبيعة الحال الجزيرة العربية ٠

وقبل التطرق إلى احتضان هذا اللون من الشعر من قبل شعراء الجزيرة العربية أحب أن أشير إشارة مقتضبة إلى الخلاف حول ميلاد أول قصيدة حرة ٠ وهل كانت قصيدة نازك الملائكة (الكوليرا) هي الأولى كما تدعي ٠٠؟ أم قصيدة بدر شاكر السياب ("هل كان حبا) كما ادعى هو الآخر ؟ أم أن هناك من سبقهما إلى هذا اللون من الصياغة الشعرية الجديدة في العالم العربي ؟

أذكر أني من خلال قراءاتي القديمة قرأت قصيدة حرة لبشر فارس سابقة لقصيدتي نازك وبدر السياب ومن دونهما من شعراء التفعيلة ، ويقول الدكتور كمال نشأة " ان ريادة الشعر الحر كانت لاحمد زكي ابي شادي ، وتمثل هذه الريادة قصيدته (الفنان) التي نشرها في ديوانه الضخم (الشفق الباكي) عام ١٩٢٦م أي قبل نازك والسياب بواحد وعشرين عاما ، ثم قصيدته أي أبي شادي (مناظرة وحنان) وهي قصيدة جمعت عدة أبحر مختلفة وفي الوقت نفسه كانت أول قصيدة في شعر التفعيلة وقد نشرت في ديوان (مختارات وحي العام) سنة ١٩٢٨م

ومن أبيات أبي شادي في قصيدة التفعيلة مناظرة وحنان الرائدة :

وجلسن بين تناظر متأملات في المرائي
فلم التناظر
لحسن وحدته تجل وان تنوع او تباين
فله الجلاله
وللمحبين يحصرها داع الى حصر
فالحسن سلطان والجوهر الاسنى
لا قسمة المظهر

مهما ازدهى وغلا ٠٠ الخ البيان عدد صفر ١٤٠٥هـ اكتوبر ١٩٨٨م

وجاء بعد ابي شادي الشاعر علي احمد باكثير فكتب الشعر الحر في مسرحيته (روميو وجولييت) قبل الشعراء العراقيين بزمن ٠

هذه بايجاز هي البداية لظهور الشعر الحر في العالم العربي والذي سمي فيما بعد بالشعر الحديث ٠

ان الشعر الحر الذي قام في العالم العربي لم ينشأ من فراغ بل لم يكن بدعا أصلا في اللغة العربية وانما كان ابتداعا من اشخاص تسند ثقافتهم العربية ثقافة اوروبية تولدت من اجاداتهم بعض اللغات الاجنبية ٠ ٠ قرأوا شعر في تلك النغمات فاستهواهم وبالتالي حملهم على تقليده بما كتبوه من شعر يضارعها في النسق والصياغة ولكن بلغة اخرى هي اللغة العربية ٠

إذن فدخول الشعر الحر إلى دنيا الشعر العربي ليس إلا استنساخا للشعر الأوربي وان اختلفت الإيقاعات والأوزان بين ما يكتب باللغة العربية وما يكتب باللغات الأوربية ٠ ولعل البواعث التي حفزت رواد الشعر في كتابة شعرهم بتلك الصياغة ترجع - في رأيي - الى الاسباب التالية :

أولا - التوافق الفكري بين المقلد والمقلد في النزوع إلى المذاهب الفكرية كالماركسية والوجودية والعلمانية الى جانب المذاهب الادبية الاخرى مثل السوريالية والدادائية والمستقبلية ٠٠ الخ

ثانيا- محاولة قطع صلتهم بماضي أمتهم الثقافي واختطاط نمط شعري يخالف أنماط الشعر العربي في القديم والحديث وهذا السبب له صلة بالتعليل الاول ٠

ثالثا - إن الشعر الحر فيه كثير من مظاهر التحرر من قيود الشعر العربي الاصيل من حيث الوزن وسلامة الروى وصحة الاعراب ، الخ ٠٠

وهي قيود تثقل كواهل غير المتمكنين من الثقافة العربية وغير الموهوبين في العطاء الشعري .

رابعا - الرغبة لدى بعض الشعراء الحداثيين في التجديد ويمثل هذا الاتجاه من الشعراء من هم ذوو توجه فكري معتدل كنازك الملائكة ومحمود حسن اسماعيل ، بل ان بعضهم معروف باتجاهه الاسلامي الواضح كالشاعر علي احمد باكثير ..

بدايات التجديد في الشعر السعودي المعاصر :

ماكانت تجربة الشعر الحر تطل برأسها قبيل الثلث الاخير من القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين الميلادي) في كل من مصر والعراق ولبنان ، من خلال ما مثلنا به من شعر أحمد زكي ابي شادي ونازك الملائكة وبدر السياب وفواد الخشن الشاعر اللبناني الذي يذكر انه سابق لهؤلاء بقصيدة نشرها في مجلة الاديب البيروتية عام ١٩٤٦م . وغير هؤلاء من سابق او لاحق - اقول ما كادت هذه التجربة الجديدة تطل برأسها ويجري نشرها في بعض المجلات الادبية اللبنانية والمصرية حتى تجاوبت اصداء الاستحسان لها في قلب الجزيرة العربية وركب موجتها عدد من الشعراء السعوديين ، وان لم يكن عدد الذين واكبوا هذه الموجة الشعرية من شعراء المملكة كبيرا ، نسبة الى عدد الشعراء المتمسكين بعمود الشعر .. ثم ان هذه المواكبة من العدد القليل من الشعراء كانت مواكبة شكلية في غالبيتها ، والا قل منهم من استخدم الرمز ، والاسطورة ، والرؤية (الميتافيزيقية) او ما وراء المنظور كما هو الاتجاه الذي اختطه بعض رواد الشعر الحر كالسياب والبياتي ، وسعدي يوسف وخليل حاوي ، وانسي الحاج ورهط مجلة شعر اللبنانية ، لقد أخذ شعراء المملكة الذين واكبوا التجديد قبل ثلث قرن تقريبا .. اخذوا الشعر الحر ماخذا شكلانيا .. أي أنهم لم يجعلوه مطية او غطاء يسترون به (باطنية) مذهب ذي توجه يخالف الثوابت من الحياة الثقافية للامة ، وانما استخدموه لتيسير الانسياب والتدفق ، وتوسيع المجال للعبارات والالفاظ الشعرية ان تنطلق متحررة من الالتزام بعدد تفاعيل البحر الخليلي ومن القافية .

ولعل هذا التحرر هو ما أغرى الكثيرين من الشعراء والمتشاعرين ممن يملكون الموهبة وممن لا يملكونها ، ولكنهم يصنعون مايكتبون صناعة ذهنية عقلانية لا وجدانية ولا خيالية .

أما الموضوعات الو المضامين لتلك الاشعار فهي : لم تتغير الا بنسب قليلة في قصائد بعض الشعراء نحو قول عبد الرحمن المنصور في قصيدته (الاصدقاء) :

ضاق بين دربكم أيها الاصدقاء
وسئمت الدروب التي تسلكون
ودروب الحياة التي تعرفون
ودروب الرؤى الجائعات

**

وجراح تئن على دربنا
زاحفات على منكبي امسنا
روعت يومنا اللاهثا
وسراب الرؤى قد بدا
لامعا كالضحى
وركضنا وراء السراب البعيد (١)

وقد استخدم كثير من الشعراء قصيدة التفعيلة في كثير من الموضوعات والاغراض المألوفة كالغزل والسياسة والاخوانيات والانسانيات العامة على حد سواء .

ومن ذلك عدد من القصائد الغزلية التي كتبها حسن عبد الله القرشي على نمطية الشعر الحر وبتعبيرات معاصرة في قصيدته (من رماد

الغربة) :

مشيت حبيبتي ، مشيت في الظلام
مشيت في المتاهات ، ذرعت الافق الدروب
ومن صدى قبلتنا في ذلك المساء
غرقت في بحار الحب الف عام
رحلت للمدائن المذهبة
على سفائن فارهة مطيبة
وبعدها القيت كاليتيم الشريد
كالمعذب الاجير ..
رحلتي في المستنقع الكبير

ونلاحظ ان القصيدة تحمل شيئا من الجدة والابتكار في الاسلوب ولا سيما عنوانها (من رماد الغربة) على الرغم من انها ذاتية محضة . وفي جانب من المعاناة التي تربط بين الذاتية والموضوعية ربطا عضويا متواشجا قصيدة غازي القصيبي (ياريم) التي وجهها الى ريم بنت تركي العصيمي التي قتل والدها لدى تطهير الحرم من البغاة مواسيا فيها الشاعر هذه الفتاة التي رزأت بموت ابيها ، يقول الشاعر :

يا ريم
يا أحلى ظبي في البيداء
غيلان المسجد
هل أبصرت وجوههم الكالحة الشوهاء
دخلوا في جنح الليل كغربان الموت
احاطوا بالكعبة مثل وباء
قتل الغيلان (بابا) والماء النابع من زمزم
والحجاج ..
وسرب حمامات
لكن يا ريم بابا غلب الغيلان
لو لم يغلبهم بابا وكانوا سرقوا كور الاطفال
وقصوا خصل الطفلات
كانوا افترشوا المريولات
قفلوا أبواب المدرسة
وداسوا كتب المحفوظات
كانوا اقتنصوا فرح الاشياء
ولفوا الدنيا بعباءات الخوف السوداء

فالشاعر هنا - رغم بساطة التعبير التي تناسب مخاطبة طفلة لا تستوعب التعبيرات اللغوية القوية - قد جعل ذاتيته جسرا للعبور عليه الى موضوعية الحدث .. ثم افضى برؤية الموضوعية الى اثار هذا الحدث ونتائجه .. لو لم يتغلب ابو ريم على من سماهم الشاعر غيلان المسجد وقد جعلت عبارة الشاعر هذه بين حاجزين تعبيرا عن عدم استحساني لوصفهم بهذا الوصف .

وعلى كل حال فقد استبطن الشاعر في أعماقه ما تصوران اولئك المخطئون يزمعون تنفيذه بعدوانهم على الحرم المكي الشريف فيما لو نجحوا - لاقدر الله - في تحقيق مأربهم .

وقد كان من نتيجة سهولة العبارات ان تحقق للشاعر توصيل التجربة الى تلك الطفلة فضلا عمن هو أرفع منها مستوى ادراكيا .. وهنا ندرك قيمة واهمية عملية التوصيل من المنتج الى المتلقي ، وان الغموض الشديد في الشعر كفيل بعدم تأثيره وخلق التفاعل معه .

بعض سمات هذه المرحلة :

كانت مرحلة الحركة الشعرية الحديثة في المملكة منذ ثلث قرن تقريبا - مرحلة تقع بين مرحلتين : هما مرحلتا الاصالة والنمط الاتباعي ، والحداثة بالنمطية المستوردة والمقتبسة من الانماط الاوربية الابتداعية .

لم يكن للشعراء السعوديين في هذه الفترة الزمنية بين فترتين - اي تصور ثقافي خاص بهم مضاد للمفاهيم الثقافية السائدة ، كما هي حال الحداثيين الذي جاؤوا بعدهم وأصبحوا صوتا لغيرهم وصورا كربونية من تجارب الخارجين على

تراث الامة العربية وثقافتها ٠٠ ولذلك فان الحداثيين الموجودين الان على ساحة الجزيرة العربية لم يكونوا امتدادا لذلك التطور التجديدي ولم يكن نتاجهم مستمدا او مستلهما من ثقافة الامة وتراثها ٠٠ وإنما هو انفصال او يشبه الانفصال الى حد كبير عن الثقافة والتراث العربي الاصيل ٠

واذا عدنا الى (سمات) الشعراء السعوديين فيما بين المرحلتين نجد ان هؤلاء الشعراء :

١- قد استخدموا اللغة استخداما صحيحا فأعطوا اللفظة صدق الدلالة على مدلولها بحيث يأخذ كل من الدال والمدلول مكانهما الطبيعي في السياق صورة ومعنى مما جعل رؤى الشعراء واضحة المعالم في السياق وليست طلاسم او احاجي كما يفعل الحداثيون الذين - غالبا - ماتأتي تجاربهم غير منغرسة في تربة حياة المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية بخاصة ٠

٢- اعتبروا الشعر وسيلة وليس غاية ٠ انه وسيلة للتعبير عن هموم الانسان وخلجاته النفسية وآماله ومطامحه في الحياة ٠٠ ولذلك ابقوا للتأثر والتأثير الشعري موقفهما الثابت الابدي بأن للشعر رسالة في الحياة لا تقل عن رسالة المصلح الاجتماعي والثقافي ، والفيلسوف وعالم النفس الخ ٠٠ وان الشعر ليس للامتاع بايحاءاته المتعددة فحسب - كما ينادي بذلك بعض منظري الحداثة الذين يكفرون برسالة الشعر في الحياة ، بل هو امتاع يتضمن موضوعات من صميم الحياة ٠٠ ولذلك يعتبر تناوله بهذه الموضوعات ايمانا برسالته تجاه الحياة والاحياء ، فهو امتاع ورسالة ٠٠

٣- لم تكن للشعراء السعوديين الذين واكبوا حركة الشعر الحر اي توجه (باطني او فكري) يناقض الثوابت الثقافية والتراثية العربية السائدة واذا كان قد حصل شيء من ذلك من شعراء الحداثة الذين جاؤوا بعدهم وهو قليل بالنسبة لما جاء من غيرهم ، فهو شيء طارىء على ثوابتنا ولكنه لا يعد شيئا خطيرا ان هو قيس بحجمه الكمي وتأثيره الكيفي على مجتمع عربي اسلامي اصيل كالمجتمع السعودي الملتزم بقيم الاسلام وتعاليمه والمحب لثقافته الاصيلة ٠

٤- كانت الصبغة الرومانسية ، او الابتداعية هي الصفة الملاصقة لشعر تلك المرحلة ٠٠ وربما كان أقرب مايميزها اغراقها في مناجاة الطبيعة واطلاق عنان الخيال ورفع الستور عن احلام المستقبل التي جلها من أحلام اليقظة ٠

وفي رأيي ان الرومانسية تطرز الشعر وتطريه وتجعله اكثر امتاعا وغنائية ٠٠ بخلاف الواقعية الاجتماعية التي لا تمنح من الاحلام والخيالات الا قليلا ٠٠ ولذلك يكون شعرها جديا وجافا الى حد ما ٠٠

من النوع الاول قول محمد هاشم رشيد يتحسر على مصير زهرة بعنوان (الزهرة السجينة) ٠

يا لزهرة في ظلال الصمت أغفت
وعلى الاشواك رفت غير حرة
فتلاشى عطرها الغالي هباء
حين لم تلق ارتواء وانتعاشا
يالمهجة عربدت فيها الطيوب
وهي في القفر تذوب دون بهجة والرياح
عفرت أوراقها وشقت (أشواقها بالجراح)

ومن النوع الثاني يقول سعد البواردي (صور)

نفس تعاف غذاءها لا تسمن
والناس بين مدافع عن حقه
أودى بنقمته ظلوم أرعن
وذليل قوم ذاب في ضوضائه
من حول مزمار الهوان يدندن
لا العيش ان نبكي فيحرقنا البكا
او نستجيب الى النعاس وندعن

العيش أن تبني الخطى أمجادنا
وترف بسمة عزنا وتهيمن
العيش آمال يثبت غرسها
كف عنيد لا يهاب فيجبن
ففي نموذج محمد هاشم رشيد خيال

واستعارات مجازية وصور رؤيوية هي للمجاز أقرب منها للحقيقة وفي نموذج البواردي جدية لواقع مستشرف .. خال من طراوة الاستعارات وجموح الخيال .

عبد الله ابن ادريس

رباعيات عبد الجبار الكيالي

هذه الدنيا سراب

هذه الدنيا سراب ضل فيها التعساء
لاتكن حيران فيها تتغنى بالرجاء
كل حي فيها يسعى وكما شاءت وشاء
إن من كان ضعيفا أكلته الأقوياء

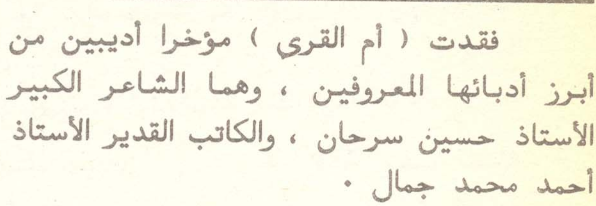
رب زدني

رب زدني منك علما أنا أحيا في ضباب
كيفما أغدو أراني راكضا خلف سراب
والأماني صاخبات فوق قوسي ورباب
كلما ازددت انطلاقا ضاع في الأرض صوابي

في رحاب الأدب السعودي

إعداد: تميم الحكيم

(أم القرى) تخسر علمين من أدبائها :



فقدت (أم القرى) مؤخرا أديبين من أبرز أدبائها المعروفين ، وهما الشاعر الكبير الأستاذ حسين سرحان ، والكاتب القدير الأستاذ أحمد محمد جمال .

أما الشاعر السرحان ، فقد كان ، رغم قلة إنتاجه الشعري ، علماً من أعلام الشعر في الجزيرة العربية ، يتسم بيانه بسعة الخيال ورهافة الحس والطبع والسليقة والسجية .

وقد توفي عن عمر يقارب الثمانين ، تاركا عددا من الدواوين ، ومجموعة من الكتابات النثرية التي تنم عن كاتب له الصدارة بين كتاب النثر الفني المعاصرين .

وأما الأستاذ جمال فهو أديب وشاعر وكاتب اجتماعي جريء عرف بمواقفه الالتزامية ، وسخر قلمه لخدمة مجتمعه ووطنه والقضايا الاسلامية .

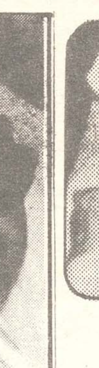
وقد توفي عن عمر يناهز السبعين ، تاركا آثارا تجاوزت الثلاثين ، في الأدب والمجتمع وقضايا الدين .

هذا وقد كان لوفاة هذين العلمين ، ردود أفعال في الأوساط الأدبية والثقافية والإعلامية بالمملكة ، حيث أعرب المفكرون والأدباء عن مشاعر الحزن والأسى لرحيل هذين الرمزين الأصيلين .

في رثاء (السرحان):

ففي الشاعر حسين سرحان قال الشاعر





احمد محمد جمال

الشيخ الأستاذ حسين عرب :

(إن وفاة الأستاذ السرحان تعدّ أكبر خسارة للأدب والأدباء .. ولن تعوض الأمة مثل هذا الرجل) .

وقال الشاعر الأستاذ إبرهيم فودة :

(لقد كان السرحان شاعراً كبيرا فنانا وكان الحزن لصيقا به طوال حياته ، وهو شاعر متدفق جزل العبارة ، رصين الأسلوب ، عربي النبرة .. وكان مثقفا واسع الاطلاع .. وكان طيب القلب وفير الأدب)

وقال الشاعر الدكتور ابراهيم العواجي :

(ارتحل فارس الكلمة ، والعازف على وتر القوافي منذ عشرات السنين ، ارتجل عن جواده وارتحل إلى بارئه .. وها نحن نودعه بالدعاء له بالرحمة ، نودع شاعراً أصيلاً لم تنصفه ساحة النقد في حياته ، فهل كما هي عادتنا في الحالات المماثلة سننقده ونمجده بعد مماته ؟)

وقال الأستاذ محمد بن عبد الله الحميد رئيس نادي أبها الادبي :

(السرحان في مجال الشعر عملاق متميز العطاء

يكاد أن يصنف في تعداد شعراء العصرين الأموي والعباسي البارزين ، وإن خسارته على دنيا الأدب لكبيرة جدا)

وتحدث الأديب الأستاذ محمد المنصور الشقحاء عن مكانة الشاعر الفقيد حسين سرحان في الساحة الأدبية فقال : يعتبر الشاعر حسين سرحان من رواد الشعر الحديث في المملكة ، والذي يعتمد على الأصالة وعمق الكلمة والمعنى بعيدا عن التكلف ، والتبذل في النظم •• وشعره يعد نموذجا ممتازا للشعر السعودي المعاصر، وبفقده تفقد الساحة الأدبية أحد رواد الشعر الحديث في المملكة •)

في رثاء (جمال):

وعن الأديب الراحل الأستاذ أحمد محمد جمال تعددت كلمات الأسى والحزن ، فقال الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن فقي : لقد كان الفقيد في دنياه عظيما ، وكان تقيا وفيا ، وكان طودا شامخا ، ونهرا عذبا دفاقا ، ••

وقال معالي الدكتور راشد الراجح ، مدير جامعة أم القرى ، ورئيس نادي مكة الثقافي الأدبي : للأستاذ أحمد جمال مبادؤه وآراؤه التي يدافع عنها ، وله مؤلفاته التي تزخر بها المكتبة الإسلامية في ميادين الثقافة والأدب والدين ••

وقال الأستاذ يوسف الدمنهوري رئيس تحرير جريدة (الندوة) : فقدت مكة المكرمة ابنها البار الذي كان معلما قديرا ومفكرا أصيلا كبيرا ، تميز بالوضوح في طرح رؤيته والتشبث بمواقفه إذا ما اقتنع أنه على صواب ••

وعبر الأستاذ عبد الله بن إدريس ، رئيس النادي الأدبي بالرياض عن مشاعره نحو الفقيد قائلا بأنه أحد رجالات العلم والأدب والثقافة ومن الرجال الأخيار الذين يتألم الإنسان لفراقهم ، بعد أن قدموا لدينهم وبلادهم جهودهم الخيرة في سبيل رفع مستوى مواطنيهم علميا وثقافيا ، وتوجيه شباب بلادهم بما فيه مصلحة الأمة •



● عبدالله الحيدري



عبد المقصود خوجه

من المكتبة السعودية (اثنينيات الخوجة):

جاء الجزء الثاني والجزء الثامن من اثنينيات الخوجة ، بعد الجزء الأول الذي صدر في العام الماضي ، كإضافة ثرية للمكتبة السعودية حيث ترصد هذه الأجزاء ، حياة وذكريات المفكرين والأدباء ، الذين كرمتهم اثنينية الوجيه عبد المقصود خوجة بالتقدير والحب والوفاء •

ولقد انفرد الصالون الأدبي للخوجة بمثل هذا العطاء ، الذي يوثق تجارب الشخصيات البارزة من الأجداد والآباء ، في كتب سيصل نفعها إلى الأجيال القادمة من الأبناء •

وسيثمن الجميع للخوجة هذا الجهد القيم الذي يستحق عليه الشكر والثناء •

ـ أطياف شعبية -

عبد الله الحيدري ، إعلامي شاب ، بزغ نجمه في السنوات الأخيرة ، مزاحما لأصحاب الباع الطويل في العمل الإذاعي ، والكتابة الصحفية •

وقد قدم عشرات البرامج الثقافية والأدبية والمنوعة ، ويشرف على أحد الملاحق الأدبية الناجحة ، وهو ملحق (إبداع) في صحيفة المسائية .

وهو يملك حساً أدبيا خوله لأن تكون له رؤية في العديد من الموضوعات والقضايا الأدبية •• ويتجسد هذا الحس الأدبي في إصداره الأخير (أطياف شعبية) ، الذي نطل من خلاله على العديد من القصص والحكايات ، والأمثال والتعبيرات ، وبعض المقالات ، وغيرها من المتفرقات ، المقتبسة من البيئة الشعبية ، في الجزيرة العربية ••

فالكتاب مشوار جميل في الأدب الشعبي من منظور فنان عشق هذا الأدب واكتشف مايتضمنه من أسرار ، وما يبثه من أطياف فيها سواد الليل وبياض النهار



حُبُّ الشّآم

شِعر مفيد نبزو

حب الشآم هوايا	ومنى الشآم منايا
عشقي ونفحة روحي	والذكريات حكايا
يا شام بعض حنيني	يا شام كل رؤايا
لولا عيونك عندي	قد تستحيل رزايا
شعري هدية قلب	ي هل تقبليني هدايا
حب الشآم خلود	ي فلتكفهر الصبايا